الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

N° : ..... الرقم: .....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـر

تخصص: (لسانيات تطبيقية)

قضايا الفكر النحوي العربي من وجهة نظر المستشرقين بين التأييد والتفنيد

–دراسة وصفية تحليلية–

من إعداد الطالبتين:

الطالبة: شيماء بلهاين

الطالبة: منال براهمية

تاريخ المناقشة: 19/ 2022/06

لجنة المناقشة:

الاسم واللّقب	الرّتبة	الصّفة	الجامعة
لطيفة روابحية	أستاذ محاضر "أ"	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945
نبيلة قريني	أستاذ محاضر "أ"	مشرفا	جامعة 08 ماي 1945
عفيف الطاهر	أستاذ محاضر "ب"	ممتحنا	جامعة 08 ماي 1945

السنة الجامعية: 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٩

شكر وتقدير

قال الله تعالى ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(النمل الأية:19)

نحمد الله عزوجل الذي ألهمنا الصبر والثبات وأمدَّنا بالقوة والعون على مواصلة مشوارنا الدراسي، وتوفيقه لنا في انجاز هذا العمل نحمدك اللهم ونشكرك.

وسلام على حبيبه وخليله الأمين عليه أزكى الصلاة والسلام.

ثم نتقدم بالشكر والامتنان والاعتراف بالجميل لوالدينا الكريمين –حفظهم الله تعالى- ونسأل الله أن يعظم لهم الأجر والثواب، ويجزيهم عنا خير الجزاء.

ونتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذة الفاضلة بالإشراف على هذا البحث"نبيلة قريني"وحرصها أن يكون هذا البحث في صورة كاملة لا يعتريه أيّ نقص نسأل الله أن يجزيها عنا كل الخير وبارك الله فيها.

والشكر كذلك موجه إلى أعضاء اللجنة المناقشة، لتحملهم عناء ومشقة قراءة هذه المذكرة.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتنا بقسم اللغة والأدب العربي بجامعة 08ماي 1945.

جعل الله ذلك في ميزان حسناتهم

لكل من أسهم وساعد ولو بالكلمة الطيبة حقهم علينا الشكر والذكرى الطيبة.

إهـــــــــداء

إلى أبي وأمي...

اللذان تكبدا عناء مجيئي إلى هذا العالم

وعرفوني عندما لم أعرف نفسي

وأحبوني عندما كنت مجردة كتلة غير ذات فائدة من العظام واللحم.

حبًّا سرمديا حنيا غير مشروط

إلى خالتي وأختي وسندي في الحياة " هناء"

إلى صديقتي وأختي الثانية وكتفي الثابت " نورهان"

إلى رفيقات العمر " أنفال" و " ملاك"

إلى من تذوقت معها أجمل اللحظات وشاركتني هذا البحث، صديقتي الصدوقة " منال"

إلى كل الأصدقاء والزملاء في الحرم الجامعي، وجميع طلبة سنة الثانية ماستر دفعة 2022 –لسانيات تطبيقية-

إلى من علمني حرفا ولقنني علما نافعا، وبخاصة الأستاذة المشرفة " نبيلة قريني".

إليكم أهدي ثمرة هذا الجهد

شيماء

الإهداء

بدأنا بأكثر من يد وقاسينا أكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات وها نحن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع.

إلى منارة العلم والامام المصطفى إلى الأمي الذي علم المتعلمين إلى سيد الخلق رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى التي ربتني وضحت من أجلي دون كلل وملل، إلى من بخلت على نفسها الراحة لأنعم بها وخضت في طريق النجاح بدعائها، إلى التي لن أوفيها حقها مهما قلت ومهما فعلت إلى الغالية **أمي**.

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح الذي علمني أن ارتقي سلم الحياة بالحكمة والصبر إلى الغالي **أبي**.

إلى بسلم روحي وحياتي، إلى من هم أنس عمري ومخزن ذكرياتي ومصدر سعادتي إخوتي " شذى" و" عبد الرزاق" و" كريم".

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح إلى من تكاتفنا يدا بيد إلى صديقتي " شيماء".

إلى كل من ارتشفت معهم كأس المحبة والأخوة أهدي لهم ثمرة نجاحي خالتي وبناتها وأولادهم.

إلى من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأحلى عبارات في العلم إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح إلى أستاذتي "نبيلة قريني".

إلى كل من نساهم قلمي ولم ينساهم قلبي

منال

مقدمة

بلغت الحضارة العربية شأوًا عظيمًا في التاريخ الإنساني العالمي، وحققت قفزة سريعة ومدهشة في السلم الحضاري، وذلك منذ مجيء الإسلام، الذي أيقظ فيها كل عناصر القوة والعمل والإبداع، حتى استطاعت أن تشيد حضارة لا يمكن مقارنتها بغيرها، جعلت أهلها سادة الشعوب المتحضرة.

وقد صاحب هذا التطور الحاصل ازدهار الحركة العلمية الإسلامية، بخاصة اهتمامهم باللغة العربية، التي اكتسبت مكانة مرموقة لكونها اللغة التي نزل بها الكتاب الكريم، وهذا ما حمل أهل العربية على ضرورة ضبط اللغة وإحكام قواعدها، فصار فهم نحوها ومعرفة صرفها وأساليبها وظواهرها السبيل الوحيد لفهم تعاليم الدين الإسلامي والتفقه فيه.

ومع تطور الحضارة الإسلامية وازدهارها عبر العصور المختلفة، وانفتاحها على الثقافات الإنسانية الأخرى في الكثير من المحطات(الفتوحات الإسلامية، والسعي لنشر الإسلام في مختلف بقاع الأرض) أدى هذا الاختلاط إلى تلاقح الثقافات بعضها بعض، فعكف أهل الغرب على الاطلاع والنهم مما توصلت إليه عبقرية العرب في جميع الميادين العلمية، والاطلاع على أخبار الحضارة العربية، فظهر على طرفي هذا الاختلاط ما اصطلح تسميتهم بـ "المستشرقين" الذين عرضوا للتراث العربي بالكشف والجمع والتقويم، وتوالت أسماؤهم على تعدد أجناسهم، وتوالي أزمنتهم.

وانطلاقا من هذه المعطيات السابقة أبدت الطائفة منهم اهتماما بالغا بكل ما يخص الفكر العربي لا سيما الفكر النحوي العربي، باعتباره حجر الزاوية في هرم الحضارة العربية، وبسبب مكانة هذا العلم الرفيع.

تعددت وجهات نظر المستشرقين للقضايا الكبرى في الفكر النحوي العربي بين منصف ومجحف، وكان لتلك الآراء تأثيرها في المتلقين العرب بين تأييد وتفنيد.

ومن هاته المعطيات جاء بحثنا موسوما بـ "قضايا الفكر النحوي العربي من وجهة نظر المستشرقين بين التأييد والتفنيد" –دراسة وصفية تحليلية–

وانطلق البحث من تساؤل رئيس هو: ما موقف المستشرقين من أهم القضايا الفكر النحو العربي؟

وتفرعت عنه أسئلة فرعية أهمها:

- ✓ هل أضاف هؤلاء المستشرقون لعلوم اللغة العربية ما يعد قيمة مضافة يستأنس بها؟ أم راكموا تراثنا بركام معرفي لم يكن في المستوى؟

- ✓ ما هي منجزاتهم في مجال الدرس النحوي العربي؟
- ✓ وما موقفهم منه؟ وكيف برر كل موقف حججه؟ وما هي أدلة كل فريق؟
- ✓ ما موقف الدارسين العرب من آراء المستشرقين؟

وقد تظافرت مجموعة من الأسباب دفعتنا لاختيار هذا الموضوع لعل أهمها:

- ✓ الرغبة في تقديم دراسة نافعة في هذا الحقل اللغوي.
- ✓ بالرغم من امتداده التاريخي، إذ له جذور تمتد مئات السنين في تاريخ العلاقة بين العالم العربي الإسلامي والعالم الغربي، العلاقة التي لطالما اتسمت بآراء متطرفة من الجانبين–العالم العربي الإسلامي والعالم الغربي المسيحي–
- ✓ جدة الموضوع وقلة البحث فيه من هذه الزاوية المعرفية– علاقة الاستشراق بالفكر النحوي العربي– ونحن نسعى من خلال بحثنا إلى:
- ✓ إقامة الصلة بين التراث اللغوي العربي، والدراسات اللغوية للمستشرقين حول اللغة العربية.
- ✓ تسليط الضوء على مختلف آراء المستشرقين حول عبقرية الفكر العربي.
- ✓ الوقف عند أهم القضايا التي تناولها المستشرقون في مجال الدرس النحوي العربي.

وقد اعتمدنا في هذا البحث المنهج الوصفي، فهو الأنسب لسبر أغوار الموضوع، واستعنا بآليات التحليل والتعليل.

ومن أجل الإجابة على الإشكالية، وتحقيق الأهداف المرجوة، جاء بحثنا وفق الهيكل التنظيمي الآتي: فجاءت مادته العلمية مقسمة كالاتي: فصلان مسبوقان بمقدمة ومتبوعان بخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

وأما المقدمة ففيها طرحت الإشكالية، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، والمنهج المعتمد، بالإضافة إلى ذكر بعض المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها، والصعوبات التي صادفتنا في انجاز هذا البحث.

وأما فالفصل الأول فجاء موسوما بـ" لمحة تاريخية عن ظاهرة الاستشراق" فحاولنا فيه تقديم الاستشراق بعدّه ظاهرة معرفية في إطار تاريخي، فبحثنا في تعريفاته: لغة واصطلاحا، ثم دوافعه التي أوجدته، ثم مراحل نشأته ثم مظاهره.

وأما الفصل الثاني وموسوم بـ "المستشرقون والفكر النحوي العربي" فحاولنا فيه إبراز آراء المستشرقين وموقفهم من أهم قضايا الفكر النحوي العربي، وجاء في ثلاثة مباحث، الأول حول جهود المستشرقين في خدمة الفكر النحوي العربي، وتناولنا فيه أسباب عنايتهم بالنحو العربي، بالإضافة إلى جهودهم في تحقيق الكتب ونشرها، والتأليف النحوي.

وأما المبحث الثاني فموسوم بـ" آراء المستشرقين في قضايا ذات صلة مباشرة بالفكر النحوي العربي"، فتناولنا فيه آرائهم حول أصالة النحو العربي، وموقفهم من وجود المدرسة الكوفية.

وأما المبحث الثالث، وعنوناه بـ "آراء المستشرقين في قضايا ذات صلة غير مباشرة بالفكر النحوي العربي"، وتناولنا فيه قضية التشكيك في ظاهرة الإعراب في اللغة العربية، وقضية التشكيك في العصر الجاهلي.

وفي الأخير كانت الخاتمة تتويجا للبحث، واستخلاصا للنتائج المهمة التي توصلنا إليها في الفصلين الأول والثاني.

ومن بين المصادر والمراجع التي اعتمدناها في إعداد هذا البحث، كتاب" فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر لمؤلفه: أحمد سمايلوفيتش، وكذلك كتاب" المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية" لإسماعيل أحمد عمايرة، وكتاب "فصول في فقه اللغة" لرمضان عبد التواب، وكتاب "المدارس النحوية" لخديجة الحديثي.

وكغيره من البحوث فقد اعترضتنا صعوبات منها:

- تعذر الحصول على مؤلفات المستشرقين.
- تنوع الأعمال المدروسة واختلاف قضاياها ومنهجها، مما أوجب ضرورة اختلاف العرض والمعالجة.

وفي الأخير الحمد لله الذي ما تم جهد ولا ختم سعي إلا بفضله، فلك الحمد كله حتى يبلغ الحمد منتهاه، كما نتوجه بجزيل الشكر إلى كل من كان عونا لنا في انجاز هذا البحث، وأخص بالذكر الأستاذة

الفاضلة والدكتورة نبيلة قريني التي قدمت لنا الدعم، ولم تبخل علينا بكل ما أوتيت من العلم، فلكِ كل الاحترام والتقدير، وجزيل الشكر والعرفان.

فصل أول: لمحة تاريخية عن ظاهرة الاستشراق

أولا: مفهوم الاستشراق:

أ. لغة

ب. اصطلاحا

ثانيا: دوافع عناية المستشرقين باللغة العربية

ثالثا: مراحل نشأة الاستشراق

رابعا: مظاهر الاستشراق في الثقافة العربية

توطئة:

فتحت الحضارة الإسلامية آفاق واسعة في حقول العلم والمعرفة في إبداع الفنون والآداب، وحينما أشرقت شمسها غيرت معالم البشرية، وأثرت في مسارها فأنارت الدنيا بعدلها وعلومها، ولكن سرعان ما أصاب الحضارة الإسلامية الركود والوقف، وتراجعت أحوال أهلها وأفلت شمس الحضارة العربية، فأخذ الغرب –على خلافهم– في استعادة نفسه، وأخذ يعد لمواجهة طويلة حاسمة ضد العالم الإسلامي؛ فمنذ التقاء الغرب بالحضارة العربية نتيجة لمواقف عديدة بدأ الغربيون يفكرون ويبحثون عن أسباب حضارة هؤلاء العرب المسلمين وبلوغهم لذلك المجد العظيم، فاستفاد الغرب من هذا الالتقاء، وعكفوا على دراسة علوم المسلمين وتقفي آثارهم وأخبارهم ودراسة لغتهم لعلهم يظفرون بما يوقفون به زحف هذا التيار الجديد، أو يكتسبون منه ما ينفعهم لإنقاذهم من تخلفهم وجهلهم ويخرجهم من ظلمات ذلك التفكير المتخلف الذي سيطر عليهم خلال القرون الوسطى وعصور الظلام.

هذا ما أعلن عن ميلاد حركة الاستشراق والتي نشأت بعدّها ظاهرة ثقافية في أعقاب ذلك الصراع العنيف بين عالمين مختلفين؛ العالم الإسلامي الشاب المتوثب والعالم المسيحي المترنح الغارق في جهله، فأخذ الغرب يدرسون لغة العرب ويتعلمونها ويتسلحون بها ويستفيدون منها وينقلون علومها إلى بلادهم لعلهم يلحقون هذه الأمة في تطورها وازدهارها.

أولا: مفهوم الاستشراق

1. لغة:

الاستشراق: هو ترجمة للفظ الأجنبي (Orientalisme)؛ وهو في العربية مصدر الفعل (استشرق)، مزيد بالهمزة والسين والتاء، فكان لزيادة هذه الحروف أثر في إيجاد معانٍ مختلفة، من معانيها الدلالة على "الطلب"، ومجّرده "شرق".

وكلمة شرق كما وردت في لسان العرب لابن منظور بمعنى :)شَرَقَ(:شَرَقَتِ الشمسُ تَشْرُقُ شَرُقًا وشَرْقًا: طَلَعَتْ، واسم الموضع المَشْرِقُ(...)يُقال شَرَقتِ الشمسُ إذا طَلَعَتْ: وأَشْرَقتْ إذا أضاءت.[1]

أمّا لفظ "الاستشراق"فلم يَرد له ذكرٌ في مصنفات ومعاجم العرب القدامى، ذلك أنه لفظ مستحدث، استعمله المحدثون.

أما لفظ "الاستشراق" فقد وَرَد شرحه في المعاجم اللغوية الحديثة، ومن ذلك:

- ورد اسم الفاعل منه في المنجد في اللغة والإعلام :المُسْتَشْرِق: العالم باللغات والآداب والعلوم الشرقية، والاسم استشرق،[2] حيث أصبح تعبير "المستشرق" يطلق على ذلك العالم باللغات الشرقية، والمهتم بمعرفة الشرق وآدابه.
- الاستشراق [مفرد]: مصدر استشرق :عناية واهتمام بشؤون الشرق وثقافته ولغاته، أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه[3]،وعلى هذا يكون الاستشراق أسلوب غربي، يُعنى بدراسة الشرق والاهتمام بكل ما يتعلق بشؤون الحياة والحضارة فيه، لمحاولة فرض التبعية للغرب عليه.
- الاستشراق :اهتمام علماء ومفكري الغرب بالبحث عن شؤون الشرق ومعارفه وثقافته، وهو تعبير حديث، واكب هذه الظاهرة التي بدأت في القرن الثامن عشر وقويت وزادت فيما تلاه من القرون[4]، ولفظة "استشراق" تطلق عادة على اتجاه فكري يقوم به علماء غربيون اتجاه العالم العربي

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، (د. تح)، دار صادر، بيروت–لبنان، ط6، 1997م، 173/10– مادة (ش ر ق).

[2] كرم الستاني وآخرون، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت–لبنان، ط7، 1931م، ص348.

[3] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب، القاهرة–مصر، ط1، 2008م، 1192/1.

[4] محمد محمد داود، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، دار الغريب، القاهرة–مصر، (د ط)، 2003م، ص68.

الإسلامي، وكل ما يتعلق بلغته وآدابه وعلومه وتاريخه، ظهر الاستشراق في أوربا خاصة في القرن الثامن عشر للميلادي، وقوي وزاد وامتد إلى يومنا هذا.

- أما الحركة الاستشراقية: فهي حركة تجلت في اهتمام الغربيين بتراث الشرق وحضارته ولغاته[1]، وهي حركة فكرية حضارية عرفتها أوروبا، وتعني دراسة الحياة الحضارية للشرق عامة والعالم العربي الإسلامي بخاصة والبحث فيها.

2. اصطلاحا:

تباينت تعريفات الاستشراق من قبل الباحثين العرب والغرب، فألفينا تعريف العرب يخالف تعريف الغربيين.

ولتوضيح ذلك سنورد بعض التعريفات للاستشراق:

1. تعريف علماء العرب للاستشراق:

ذهب علماء العرب في فهم الاستشراق إلى تبني مذاهب عديدة، ومن بين هذه التعاريف:

يقول "أحمد حسن الزيات": «يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره[2] »،فهو يرى أن الاستشراق دراسة تاريخية يقوم بها بعض المفكرين الغربيين تجاه التراث العربي الإسلامي.

وأما "أحمد عبد التواب" فينظر إلى من يقوم بالعمل الاستشراقي نظرة دينية، حيث وصف المستشرقين بالكفر، ويرى أن الاستشراق: «دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب، عقيدة كانت أو شريعة وثقافة وحضارة وتاريخا، ونظاما وثروات وإمكانات...بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم وفرض التبعية للغرب ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات[3].»

وهو عند " يوسف أسعد داغر" عبارة عن حركة علمية تهدف إلى دراسة تاريخ الشرق، فيقول: «الاستشراق على إطلاقه وشموله؛ حركة علمية عنيت –ولاتزال تُعنى– بدراسة المدنيات الشرقية:

---

[1] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص192.

[2] أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق، دار الفكر العربي، القاهرة–مصر، (د ط)، 1998، ص27.

[3] محمد قدور تاج الاستشراق: ماهيته، فلسفته ومناهجه، مكتبة المجتمع العربي، عمان–الأردن ط1، 2014، ص18.

ما غبر منها وما حضر، وما طمس ذكره منها وما استقر، بما خلفته تلك الحضارات من قوى روحية وآثار فكرية وأدبية وفنية ودينية.[1] »

ويضيف الكاتب "إدوارد سعيدEdward Sid"صفة الأكاديمية إلى مفهوم الاستشراق، إذ يقول:« أما أيسر التعريفات المقبولة للاستشراق فهو أنه مبحث أكاديمي –بل إن هذا المفهوم لايزال مستخدما في عدد من المؤسسات الأكاديمية– فالمستشرق كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء لبحوث في موضوعات خاصة بالشرق » [2].

إذا كان الاستشراق قد عرف عدة تعريفات مختلفة لدى الباحثين العرب، ذلك لأنهم نظروا إليه – الاستشراق–برؤى تشكلت بحسب انتمائهم الفكري، وبحسب كل واحد منهم فالاستشراق ليس مجرد بحوث أكاديمية أو دراسات علمية، بل هو نظرة استراتيجية لأهداف سياسية واقتصادية ودينية.

2. تعريف علماء الغرب للاستشراق:

أطلقت كلمة مستشرق لأول مرة سنة 1960م، على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية، ثم أطلقت بعد ذلك على من يعرف لغات الشرق.[3]

وأما تعريف علماء الغرب للاستشراق، فمنهم من ينظر إليه على أنه طلب علوم الشرق ولغاته، وأنه لفظة مولدة تُقال لمن يُعنى بذلك من علماء الفرنجة، و يتبدى هذا التعريف لمن يهتم بالجانب العلمي لهذه لمسألة،[4] وفي هذا يقول المستشرق الألماني رودي بارت(Rudi part):«الاستشراق هو علم الشرق أو علم عالم الشرق.[5] »

ويعرفه الإيطالي جويدي(Guidi) قائلا:« الوسيلة لدراسة كيفية نفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو «علم الشرق » ،بل نستطيع أن نقول إن الغرض من هذا العلم الأساسي ليس مقصورًا على مجرد درس اللغات أو اللهجات أو تقلبات تاريخ بعض الشعوب كلا(...)بل من الممكن أيضا أن نقول إنه

---

[1] يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسات الأدبية، المطبعة المخلصية، بيروت–لبنان، ط2، 1961م، 771/2.

[2] إدوارد سعيد، الاستشراق مفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عتاتي، رؤية للنشر، القاهرة–مصر، ط1، 2006، ص44.

[3] محمد فروق النبهاوي، الاستشراق تعريفه ومدارسه وآثاره، المنظمة الإسلامية، الرباط–مغرب، (د ط)، 2012م، ص11.

[4] حمدان بن عبد الله، موقف الحركة الاستشراقية من تاريخ النحو العربي ونقدها، مجلة دراسات استشراقية، جامعة السعيدة–الجزائر، ع17، 2019م، ص189.

[5] محمد قدور تاج، الاستشراق: ماهيته، فلسفته ومنهجه، ص24.

بناء على الارتباط المتين بين التمدن الغربي والتمدن الشرقي، ليس علم الشرق إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنسان[1]، فالاستشراق لدى "جويدي" دراسة تاريخ الروح للإنسانية من جهة نظر الشرق.

ويقول المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون(MaximeRodinson) عن الاستشراق: «إيجاد فرع من فروع المعرفة لدراسة الشرق والحاجة كانت ماسة لوجود متخصص للقيام على إنشاء المجلات والجمعيات والأقسام العلمية.[2] » وبهذا فالاستشراق وسيلة لنقل حركة الفهم والعقل من الشرق إلى الغرب

بالرغم من التباين في تحديد مفهوم الاستشراق بصورة ثابتة، إلا أن المدلول الشامل لهذا اللفظ هو دراسة الشرق ومعرفته.

3. موازنة بين آراء علماء العرب وعلماء الغرب في تعريف الاستشراق:

أن هذا التباين الحاصل في تعريفات الاستشراق يدفعنا إلى ملاحظة اختلاف واتفاق آراء العلماء حوله يمكن تلخصيها كالأتي:

- **أوجه الاختلاف:**

✓ اتهم بعض علماء العرب علم الاستشراق وأصحابه بالكفر والتعصب.

✓ اختلفت نظرة العلماء العرب والغرب للاستشراق باختلاف المذاهب الفكرية، فمنهم من نظر إليه من وجهة نظر سياسية بدافع السيطرة، وأخر تناوله من وجهة منهجية تاريخية فنولوجية.

✓ نظر بعض علماء العرب للاستشراق على أنه محاولة للهيمنة الغربية على العالم الإسلامي، على خلاف ذلك أقر علماء الغرب بدور التراث العربي الإسلامي لدراسة التاريخ الإنساني.

- **أوجه الاتفاق:**

✓ أشار جميع العلماء إلى الدور الكبير الذي لعبه الاستشراق في التعريف بالحضارة العربية الإسلامية.

✓ لم يختلف تعريف الاستشراق كثيرا عند العلماء العرب والغرب إذ نجد مفهومه لم يخرج عن كونه علما يختص بمعرفة كل ما يحيط بالشرق على العموم، وبالعرب بوجه خاص.

---

[1] أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق، ص24.

[2] محمد قدور تاج، الاستشراق: ماهيته، فلسفته ومنهجه، ص24.

رغم تداول مصطلح الاستشراق في مختلف الدراسات والكتابات إلا أن الباحث عن تعريف محدد له، سيجد نفسه أمام سيل من التعريفات، إلا أنه يمكننا أن نقول إن الاستشراق: اتجاه فكري يعنى بدراسة التراث الشرقي العربي الإسلامي، ويشمل ذلك كل ما يصدر عن العلماء الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين والتي تتضمن حضارته وأديانه ولغاته وثقافته.

ثانيا: دوافع عناية المستشرقين باللغة العربية

عني المستشرقون بالآداب العربية والإسلامية بعد أن تفطنوا إلى ما تحمله الحضارة العربية وعملوا على إقامة حضارة شبيهة بالعربية، وذلك من خلال محاكاة فنونها وآدابها.

ويمكن حصر أهم الدوافع الكامنة وراء ظاهرة الاستشراق فيما يأتي:

1. الدافع الديني:

لعّل هذا الدافع هو المحرك الأساسي للحركة الاستشراقية، أو لما يسمى بالصراع الحضاري، فهو لا يحتاج بحثا أو جهدا في التعرف عليه؛ حيث يذكر محمد البهي أن السبب الرئيسي الذي دعا الأوروبيين إلى الشرق هو السبب الديني في الدرجة الأولى؛ فقد تركت الحرب الصلبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار عميقة، وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي فشعر المسيحيون –البروتستانت والكاثوليك– بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية[1].

بمعنى أن الاستشراق في أول أمره نشأ على يد رجال الدين والمُنَّصِرين بهدف إعادة النظر في كتبهم بالاتجاه إلى الدراسات العربية والإسلامية.

وهذا ما يؤكده المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون(Maxime Rodinson)عن كمية الخوف والهلع الذي اجتاح رجال الكنيسة في الغرب من الإسلام فقال: كان المسلمون خطرا على الغرب

[1]علي إبراهيم نملة، كنه الاستشراق–المفهوم– الأهداف– الارتباطات، بيسان، بيروت–لبنان، ط3، 2011، ص48.

قبل أن يصبحوا مشكلة، كما كانوا في نفس الوقت عامل اهتزاز شديد في بنيان الوحدة الروحية للغرب، وأنموذجا حضاريا يجتاز بتفوقه، وبحركته الإبداعية المتسارعة، وقدرته الهائلة على الانفتاح والاستيعاب[1].

فالغاية الحقيقية من هذا الدافع هي معرفة الإسلام والطعن فيه وتشويه محاسنه وتحريف حقائقه ليثبتوا —رجال الدين– لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام هو العدو الذي يتعين عليهم محاربته[2]؛ فقد وصف الأوروبيون المسلمين بأنهم قوم همج ولصوص، وأن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، حيث سعوا إلى التشكيك فيه وإفساد صحة القرآن الكريم والرسالة المحمدية.

وهذا ما ذهب إليه المستشرق الهولندي رينهارت دوزي(ReinhartDozy)حيث أطلق عبارات مريضة عن القرآن فحواها:" أنه كتاب ذو ذوق رديء للغاية، لا جديد فيه إلا القليل، وفيه إطناب بالغ وممل إلى حد بعيد"[3] .

وتحدث المستشرق الألماني رودي بارت (Rudi Paret)عن التقاء الاستشراق بالتنصير، في القرن الثاني عشر والقرون التالية حديثا صريحا واضحا، فقال في الجهود التي تبذل في دراسة العربية:" وكان الهدف من هذه الجهود في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير؛ وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي"[4].

الهدف من هذه الجهود هو إخراج المسلمين من دينهم وتنصيرهم، عن طريق الدعوة وتزيين ما في المسيحية من أحكام ومبادئ، والتشكيك والطعن في الإسلام وكل ما يتصل به من فنون وتراث، فلقد "كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف اشتغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية"[5].

---

[1] محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، دار البشر للثقافة والعلوم، مصر، ط1، 2016، ص32.

[2] أنور محمد زناتي، زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة–مصر، ط1، 2002، ص32.

[3] محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، ص115.

[4] إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حنين، عمان–الأردن، ط2، 1995، ص26.

[5] عمر لطفي العالم، تاريخ حركة الاستشراق، دار الكتب الوطنية، بنغازي–ليبيا، ط2، 2001، ص16.

2. الدافع الاستعماري والسياسي:

لم ييأس الغربيون بعد هزيمتهم في الحروب الصلبية، فراحوا يدرسون البلاد العربية في كل شؤونها: من عقيدة ولغة وحضارة، وعادات وتقاليد وأخلاق، ليتعرفوا على مواطن القوة فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها أي إن الاستشراق قد أدى دورا كبيرا في التهيئة والتمهيد لاستعمار العالم الإسلامي[1].

ولما تمّ لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس العرب، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم، وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندهم من عقيدة وقيم إنسانية، فيفقدوا الثقة بأنفسهم ويرتموا في أحضان الغرب[2]؛ وهذا ما يعترف به المستشرق البريطاني برنارد لويس(Bernard Lewis) :« إن ما تعودنا عليه في الغرب هو أن يزداد تمسكنا بمثلنا الغربية كلما ازداد اتجاه الشرقين إلينا، وذلك بجعل أنفسنا مثالا للفضيلة والتقدم الحضاري. فإذا تشبه الشرقيون بنا فذلك جيد والعكس يعد عندنا شرا. فالتقدم والتقهقر والسقوط هو في عدم التشبه بنا » [3].

أما الدوافع السياسية للاستشراق فبدأت تتجلى منذ مجيء الإسلام بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، حيث يوجد في كل سفارة من سفارات الدول الغربية، سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والسياسة والصحافة، ليتعرف إلى أفكارهم[4].

فقد أدى الاستشراق إلى بزوغ صراعات فكرية وسياسية، باعتباره وسيلة جيدة لتسهيل وتسريع العمل الاستعماري.

ويقول إبراهيم اللبان: «والواقع أن رجال السياسة في الغرب على صلة وثيقة بأساتذة هذه الكليات (كليات اللغات الشرقية في أوروبا) وإلى آرائهم يرجعون قبل أن يتخذوا القرارات الهامة في

---

[1] محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، ص108.

[2] عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط3، 1989، ص195.

[3] فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 1998، ص35.

[4] عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص 196

الشؤون السياسة الخاصة بالأمم العربية والإسلامية. وقد سمعت أحد كبار المستشرقين يتحدث أمامي فيذكر أن مستر (إيدان) كان قبل أن يضع قرار سياسيا في شؤون الشرق الأوسط يجمع المستشرقين المستعربين، ويستمع إلى آرائهم، ثم يقرر ما يقرر في ضوء ما يسمعه منهم » [1].

3. الدافع العلمي:

يقصد بالدافع العلمي دراسة علوم الشرق الإسلامي في مختلف التخصصات العلمية، ونقلها إلى الغرب لتنهض أوروبا وتتقدم نحو الرقي الحضاري الذي سبقها إليه المسلمون بمسافات شاسعة إبان ازدهار الحضارة الإسلامية، أين كان الغرب يعيش في ظلام دامس وتخلف حضاري مطبق، ففتح عينه على تقدم المسلمين في العلوم وتفوقهم الحضاري[2]، ذلك لما تمتلكه وتحتفظ به هذه الحضارة من تراث إنساني هائل، عملت في كل مرة على تطويره بصورة إلى أخرى فكانت حافزا لفئة من المستشرقين.

ومما لا شك فيه أن هناك طائفة من المستشرقين تتمتع بالأمانة العلمية واندفعت برغبة علمية صادقة وبدافع علمي محض بغية الاستفادة والإفادة من حضارات الشرق فأقبلوا على الدراسات الاستشراقية بدافع حب الاطلاع، والبحث والتمحيص على حضارات الأمم، وأديانها، وثقافاتها ولغاتها، وبالأخص لدراسة الدين الإسلامي والتراث العربي والإسلامي[3].

هذا ما صرح به المستشرق الألماني رودي بارت(Rudi Paret) في قوله:« إننا في دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة .[4] »

فقد انكب الغرب في دراسة التراث العربي، ومن بعض جهودهم ما قام به الهولندي توماس إربنيوس (Thomas van Erpenius) نشر عملا لعبد القاهر الجرجاني بروما 1618، و الفرنسي

---

[1] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار، القاهرة–مصر، ط2، 1989، ص58.

[2] إسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل " مدخل علمي لدراسة الاستشراق"، دار الكلمة، القاهرة–مصر، (د ط)، 2014، ص39.

[3] فاطمة هدى نجا، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، طرابلس–لبنان، ط1، 1993، ص81.

[4] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص84.

سلفتر دي ساسي(Silveste de Sacy)نشر كليلة ودمنة، وألفية ابن مالك، ووصف مصر لعبد القادر البغدادي، وترجم بعض الكتب العربية إلى الفرنسية[1].

ثالثا: مراحل نشأة الاستشراق:

إن الباحث عن فهم أي ظاهرة وسبر أغوارها والغوص إلى معرفة أسرارها لابد له من معرفة جادة بتاريخها والظروف المحيطة بها، والتي دفعت إلى وجودها فيحاول تهيئة الأرضية المعرفية المناسبة حتى يتمكن من إضاءة ما يمكن حول هذه الظاهرة، ليبسطها شيئا فشيئا أمام المتلقي، ليضمن بذلك تمتين الصلة بين بحثه وذهن المتلقي، وهكذا أمر الاستشراق.

يمكن القول إن ميلاد الاستشراق كان حينما التقى الأوروبيون بالثقافة العربية الإسلامية المتفوقة على حضارتهم؛ «إلا أنه لا يوجد دليل قاطع يدل على البداية الحقيقية والمنظمة للاستشراق؛ فالمصادر التي تعرضت لهذا الموضوع تختلف في تحديدها لبداية الاستشراق، فمن الباحثين من يرى أنه بدأ بمحاولات فردية منذ أواخر القرن العاشر الميلادي، أو ربما قبل ذلك بقليل، ومنهم من يرى أنه منذ الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م. حينها قدم عدد كبير من العلماء في جميع فروع المعرفة مع نابليون»[2].

وبالرغم من كل هذا الاختلاف، وتشعب الآراء حول نشأة الاستشراق، يمكن تقسيم مراحل نشأته إلى الآتي:

- **مرحلة الانبهار بالحضارة العربية والاتجاه إليها:**

هناك اتجاه كبير يميل إلى أن الاستشراق بدأ منذ أن دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوروبا، وقيام الدولة الإسلامية في الأندلس، والتي أسست نهضة لم تشهدها أوروبا من قبل[3]، حيث اعترف الكثير من المستشرقين والباحثين بفضل الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا، وأكدوا أن الأوروبيين يدينون

[1] أنور محمد زناتي، زيارة جديدة للاستشراق، ص 40.

[2] محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، المنشأة العامة، طرابلس- ليبيا، ط1، 1983، ص62.

[3] محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ص 63.

للعرب والمسلمين بحضارتهم التي بهرتهم عندما كانوا يعيشون في ظلمات الجهالة، فبدأ المستشرقون الأوروبيون يدرسون علوم المسلمين ولغاتهم، وقد بدأوا يتأثرون بهذه العلوم، ثم يترجمونها إلى لغاتهم[1] .

ويعترف المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون (Gustave Le Bon)أنه:« إذا كانت هناك أمة نقرّ بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة»[2].

وأما المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة(Sigrid Hunke) فتقول في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب": « في مراكز العلم الأوروبية لم يكن هناك عالم واحد من العلماء إلا ومد يده إلى الكنوز العربية هذه يعرف منها (...) ولم يكن هناك كتاب واحد، من بين الكتب التي صدرت في أوروبا آنذاك إلا وقد ارتوت صفحاته بالري العام من الينابيع العربية وأخذ منها»[3].

ومن هنا نلاحظ أثر الحضارة الإسلامية على أوروبا قد بدا واضحا من خلال كتابات المستشرقين.

- **مرحلة ما بعد الحروب الصليبية والاهتمام باللغة العربية:**

يعد الاستشراق في هذه المرحلة نتيجة من نتائج الصراع القائم بين عالمين: العالم الإسلامي والعالم المسيحي، بسبب الحروب الصلبية التي شنها الصليبيون ضد المسلمين، وفشلوا عسكريا أمام عقيدة العرب وإيمانهم الراسخ، إلا تلك الهزمة لم تثن عزم الصلبين عن إتباع أساليب أخرى. فبدأوا في التفكير جديا لغزو المسلمين فكريا حتى يتمكنوا من ضرب وتشويه صورة الإسلام، وعلى أثر ذلك بدأت حركة جادة من الرهبان لتعلم اللغات الشرقية وخاصة اللغة العربية وقضى مجمع " فينا" سنة 1311، برئاسة البابا (الكلمنتس الخامس) أن تؤسس في عواصم العلم دروس عربية وعبرية وكلدانية، وهي ما عرفت أخيرا بكراسي الدراسات الشرقية في العديد من الجامعات الغربية[4].

---

[1] ينظر: صالح الشبيب، الاستشراق مفهومه ونشأته وتطوره مع تحليل ونقد آراء المستشرقين، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المنتصرية، العراق، ع50، 2007، ص189.

[2] ينظر: صالح الشبيب، الاستشراق مفهومه ونشأته وتطوره مع تحليل ونقد آراء المستشرقين، ص 190.

[3] زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيمون وكمال دشوفي، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط8، 1993، ص305.

[4] ينظر: محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام، ص67.

لقد ركز المستشرقون الأوائل على الهجوم على الإسلام وعقيدته والتشكيك فما جاء به لأنهم يعتبرون الإسلام تهديدا للعالم المسيحي الغربي، فقد اتسمت مناهج الكثير من المستشرقين بسمات فكرية عدائية، تصور الإسلام بأنه صورة خرافية[1].

ومن هنا يتضح لنا أن المستشرقين كونوا صورة لا موضوعية مشوهة تجاه حقيقة الإسلام، وحاولوا تشويه كل ما جاء به لدى عقول المسيحيين.

- **مرحلة التنظيم الفعلي لعملية الاستشراق:**

حين جاء القرن الثامن عشر – وهو الوقت الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستلاء على ممتلكاته– ظهر الاتجاه الحقيقي والمنظم للاستشراق وقد تمثل ذلك في نبوغ بعض علماء الغرب في هذا الميدان –الاستشراق– وذلك بإصدار العديد من المجلات من بلاد الغرب، والاستيلاء على الكنوز العربية المتمثلة في المخطوطات والوثائق الهامة، والانتقال بها إلى المكتبات والمتاحف الغربية[2].

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من الاستشراق بعد أن أدرك الغربيون صورة وجد رابط جديد لتنظيم الأنشطة السياسية والعلمية والفكرية.

- **مرحلة ما بعد الحرب العالمية:**

تتميز هذه المرحلة من الدراسات الاستشراقية بالآتي:

الاستمرار في عقد المؤتمرات وتطوير أسلوبها، وظهور نزعة لدى عدد من المستشرقين تدعو إلى تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية، وانتهاج البحث العلمي المجرد، لكنه لا يخلو من التعصب للسياسية الاستعمارية.

[1] صالح الشبيب، الاستشراق مفهومه ونشأته وتطوره مع تحليل ونقد آراء المستشرقين، ص191.

[2] محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام، ص69.

وقد أظهرت حقائق أن الاستشراق قد أسهم في تعزيز المفاهيم والرؤى السلبية تجاه العروبة والإسلام[1].

خامسا: مظاهر الاستشراق في الثقافة العربية:

فاقت عناية الاستشراق بالتراث العربي الإسلامي وحضارته لاختراق أفق الشرق الفكري لأن الثقافة العربية تعبّر عن الوجه الأساسي لعصر النهضة، وهي الوجه الإنساني الرابط بين الثقافة القديمة والحضارة الحديثة، وقد بعث الفتح العربي الحياة في الغرب، وأيقظ العقلية الأوروبية، وهذا ما يوضح لنا سبب عناية الاستشراق بالتراث العربي الإسلامي وجهده العظيم في إيقاظه، ومن بين مظاهر هذا الاهتمام ما يلي:

- **جمع المخطوطات العربية وفهرستها:**

لا تخلو مكتبة أو مركز علمي بأوروبا من المخطوطات العربية الهامة، فقد اهتم المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية من كل مكان في بلاد الشرق بطرق مشروعة وغير المشروعة، وكان هذا العمل مبنيا على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات الحضارية والثقافية، وما تحمله من تراث غني في مختلف المجالات والفنون.

لقد كان بعض الحكام في أوروبا يفرضون على كل سفينة تجارية، تتعامل مع الشرق الإسلامي أن تحضر معها بعض المخطوطات، فعلى سبيل المثال أرسل ملك بروسيا فريدريش فيلهلهم الرابع (FredirichGuillaum)ريتشارد ليبسيوس(Richard Lepsuis) إلى مصر سنة 1842م لشراء مخطوطات شرقية[2]، ولقد لقيت هذه المخطوطات اهتماما كبيرًا في أوروبا، إذ قام المستشرقون في الجامعات والمكتبات الأوروبية بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة دقيقة، وتقدر المخطوطات العربية الإسلامية في مكتبات أوروبا بعشرات الآلاف، بل قد يصل عددها إلى مئات الألف[3].

[1] صالح الشبيب، الاستشراق مفهومه ونشأته وتطوره مع تحليل ونقد آراء المستشرقين، ص194.

[2] محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص74.

[3] مر ن، ص ن.

- **تحقيق المخطوطات العربية ونشرها:**

لم يكن عمل المستشرقين مقتصرًا على اقتناء المخطوطات فقط، بل انتشرت في أوروبا حركة نشيطة لتحقيق ونشر تلك المخطوطات، فالمستشرق فلايشر(Flecher) قدم مساعدة علمية جليلة عند تحقيقه لمخطوطات الكتب العربية مثل: معجم البلدان والفهرست لابن نديم، والكامل للمبرد، والكامل في التاريخ لابن أثير[1]، وممن ألف أيضا في فن التحقيق المستشرق الألماني برجيشتراسر(Bergistrasser) كتاب "أصول نقد النصوص ونشر الكتب" وهو مجموعة محاضرات ألقاها على طلاب الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة القاهرة سنة1931م[2].

كما ساهم المستشرقون في نشر عدد كبير جدًا من المؤلفات العربية ومن ذلك، نشر المستشرق الألماني زاخاو(Sachau) كتاب "الطبقات الكبرى لابن سعد بعد تحقيقه[3]، وقد عرفت الكثير من الكتب التراث تحقيقا وطباعة على يد المستشرقين، ومن بين هذه الكتب–على سبيل المثال لا الحصر– نشرهم لسيرة لابن هشام والإتقان للسيوطي" و"تاريخ للطبري" و"كتاب سيبويه" و"المختصر في الحساب الجبر والمقابلة للخوارزمي" و"صحيح البخاري" و"التيسير في القراءات السبع لابن عمرو عثمان الداني"، وعدد هائل من دواوين الشعر العربي الإسلامي في عصور مختلفة[4].

- **الاعتناء بترجمة التراث العربي الإسلامي:**

لم يقتصر نشاط المستشرقين على التحقيق والنشر فقط، بل قاموا أيضا بترجمة عدد كبير من الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوروبية كافة، ومن أهم دراسات المستشرقين في الدراسات القرآنية ترجمة القرآن الكريم، حيث ترجم القرآن الكريم لأول مرة في القرن الثاني عشر، تَرجم القرآن الكريم إلى الروسية المستشرق سابلوكوف(Sablouhov)سنة1878م[5].

---

[1] محمد عوني عبد الرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة–مصر، ط1، 2004، ص24.

[2] محمد فاروق النبهاوي، الاستشراق: تعريفه، مدارسه وآثاره، ص38.

[3] محمد عوني عبد الرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بي التحقيق والترجمة، ص31.

[4] محمد فاروق النبهاوي، الاستشراق: تعريفه ومدارسه وأثاره، ص76.

[5] محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص48.

كما نقل المستشرقون إلى لغتهم الكثير من دواوين الشعر والمعلقات، والكثير من الكتب، ومثال ذلك: "تاريخ أبي الفداء " و"تاريخ الطبري "ومروج الذهب للمسعودي" وتاريخ المماليك للمفريزي" والإحياء والمنقذ للغزالي"، وغير ذلك من مئات الكتب في اللغة والآداب والتاريخ والعلوم الإسلامية، هذا فضلا عما ترجم في القرون الوسطى من المؤلفات العرب والمسلمين في الفلسفة والطب والفلك وغير ذلك من العلوم[1].

- **الاهتمام بعلوم العرب الطبيعية:**

فقد اختص المستشرقون والعلماء الأوربيون بدراسة الرياضيات والحساب، والجبر والهندسة، والفيزياء والكمياء والطب والصيدلة، والنبات والجغرافيا، وغيرها من العلوم التي نهض بها العرب في هذا المجال، وأثروا بها الغرب الذي بنى هو بدوره نهضته العلمية على إنجازاتهم ومناهج بحثهم فيها وغيرها من المسائل المتصلة بهذه الميادين[2].

- **العناية بعلوم العرب الإنسانية:**

لقد حاول المستشرقون عن طريق عنايتهم بهذه العلوم أن ينفذوا إلى أعماق المجتمع العربي الإسلامي، فبحثوا في منابعها، وقضاياها، واندفاعها، ودرسوا نظام الأسرة الإسلامية وعاداتها وتقاليدها، وملابسها ومدى تقبلها لمتطلبات العصر، وعلاقات عناصرها القروية، ثم اختلاف أجناسها، وهجراتها، وقبائلها[3].

- **العناية بالآداب العربية:**

اهتم المستشرقون بكل ما تعلق بالأدب العربي، حيث درسوا تاريخه، وتطوره وقيمته وأصالته، وانتحاله، وسرقاته، وأعلامه، وشعراءه، وقد كانت هذه العناية أكثر وأشد شغفًا وأوسع انتشارًا، لأنها محاولة لفهم الشخصية العربية والإحاطة بها من كل جوانبها، مما يدل على مبلغ أهمية دراستهم للفكر العربي عامة والأدب خاصة.[4]

---

[1] محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص174.

[2] أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص172.

[3] مر ن، ص174.

[4] مر ن، ص186.

- **الاهتمام بالفقه الإسلامي:**

لقد اهتمام المستشرقون بدراسة الفقه الإسلامي، ودعوا بأن الفقه الإسلامي قد تأثر بالقانون الروماني، وأن الفقهاء المسلمين تبنوا بعض القواعد القانونية التي أقرها القانون الروماني، واستدلوا على ذلك بدليلين:

أولهما: أن الشريعة الرومانية أسبق تاريخًا من الشريعة الإسلامية.

وثانيهما: وجود تشابه بين بعض أحكام الشريعة الإسلامية وبعض قواعد القانون الروماني[1].

ومن المستشرقين الذين كتبوا عن الفقه والشريعة الإسلامية:

1. المستشرق الألماني (شاختSchacht) وكتب تاريخ الفقه الإسلامي ونشأته.

ب.المستشرق الإنجليزي اندرسون (Andersen)وكتب عن الأسرة في القانون الإسلامي، والزواج في الفقه الحنفي، وجريمة القتل في الإسلام[2].

- **تأليف الكتب والبحوث والدراسات:**

تعددت مجلات التأليف في الدراسات العربية والإسلامية، وكان نشاط المستشرقين فيها كثيرًا فقد ألفوا الكتب والبحوث في موضوعات مختلفة، فألفوا في التاريخ العربي الإسلامي، وفي الشريعة ألف "شاخت" كتابه: "الدخل إلى الفقه الإسلامي"، والتصوف الإسلامي، وفي تاريخ أدب العربي ألف المستشرق الألماني كارل بروكلمان(Carl Brokelmen) كتابه: "تاريخ الأدب العربي ،كما اهتم المستشرقون الألمان بكل الدراسات المتعلقة بالقرآن والسنة النبوية وتحقيق بعض كتب الحديث، ومن أبرزهم المستشرق الهولندي فنسك(Wensinck) الذي أعدَّ "مفتاح كنوز السنة" والمعجم "المفهرس الألفاظ الحديث" وهو من أعظم الأعمال التي قدمها المستشرقون.[3]

ولم يترك المستشرقون مجالا من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلا ألفوا فيه فكانت هذه الكتب تتم بالموضوعية حينا، وبالتعصب والبعد عن المنهج العلمي أحيانا أخرى.

---

[1] محمد فاروق النبهاوي، الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره، ص59.

[2] مر ن، ص63.

[3] مر ن، ص51.

- **تأليف المعاجم والموسوعات ودوائر المعارف:**

للمستشرقين باعٌ طويلٌ في مجال تأليف المعاجم والموسوعات؛ فقد انكبوا على خدمة التراث العربي وتدوين تاريخ الأدب العربي، وهو عمل جاء نتيجة تخلي القادرين من المسلمين عن كتابة مثل هذا العمل المهم والضروري لكل أمة، فأعدوا موسوعات ومعاجم علمية تساعد الباحث على إعداد بحوثه العلمية وتيسير مادة البحث لديه، وكان أول قاموس أنجز هو قاموس "لاتيني-عربي" في القرن الثاني عشر ميلادي[1].

كما ألف المستشرقون دائرة المعارف الإسلامية، والتي صدرت سنة 1913م-1938م في طبعتها الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، والتي تعد من أهم أعمال المستشرقين لأنها جمعت جهودهم العلمية في عمل موحد، وابتدأت فكرة دائرة المعارف الإسلامية منذ أواخر القرن التاسع عشر وصدرت أولى بحوثها سنة 1913م[2]، وهي نتاج جهود عدد كبير من المستشرقين، استطاعوا أن يعبروا فيها عن أفكارهم تجاه التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية.

- **إصدار دوريات ونشر المجلات:**

أصدر المستشرقون العديد من المجلات والدوريات التي تحوي الكثير من البحوث حول الإسلام وحول الشرق عمومًا، ومن أشهر تلك المجلات:

"مجلة ينابيع الشرق" التي صدرت في "فينا" سنة 1809م-1818م، ومجلة "الجمعية الآسيوية الملكية" بـ "لندن"، ومن أخطر المجلات ذات الطابع الاستشراقي الحاقد مجلة "العالم الإسلامي" التي أنشأها عميد التبشير العالمي صمويل زويمر(SomuelZwemer) سنة 1911م[3].

- **إلقاء المحاضرات في الجامعات والتجمعات العلمية:**

كان المستشرقون يترددون على الجامعات بالدول العربية لإلقاء المحاضرات، ومحاولة توثيق علاقتهم بالجامعات العربية، ولقاء الباحثين والمناقشة معهم، ليتحدثوا في كل المجالات العلمية، فقد ترددوا على الجامعات في: دمشق ولبنان، والرباط والجزائر.[4]

---

[1] محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ص101.

[2] محمد قدور تاج، الاستشراق: ماهيته، فلسفته، مناهجه، ص44.

[3] محمد فاروق النبهاوي، الاستشراق، تعريفه مدارسه، أثاره، ص40.

[4] محمد قدور تاج، الاستشراق: ماهيته، فلسفته، مناهجه، ص45.

- **عقد المؤتمرات والندوات:**

عقد المستشرقون العديد من المؤتمرات والندوات حول الاستشراق، وقد بدأت هذه المؤتمرات منذ حوالي سنة1873م، ويمكن حصرها في حوالي 30مؤتمرا، كان الهدف من ورائها التنسيق وتبادل المعارف حول الشرق.[1]

- **إنشاء الكليات والمعاهد الاستشراقية:**

يكاد يكون هناك في كل جامعة أوروبية أو أمريكية معهد خاص للدراسات الإسلامية والعربية، بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد لاستشراق مثل جامعة "ميونخ" حيث يوجد بها معهد للغات السامية والدراسات الإسلامية ومعهد لتاريخ وحضارة الشرق.

تقوم هذه المعاهد بمهمة التدريس الجامعي وتعليم العربية وتخريج الدارسين في أقسام الماجستير والدكتوراه ممن سيواصلون أعمالهم في مجال الاستشراقي الأكاديمي[2] .

[1] محمد قدور تاج، الاستشراق: ماهيته، فلسفته، مناهجه، ص46.

[2] محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص72.

بلغ العرب في العصور المتقدمة مكانة عظيمة في مختلف العلوم، حيث حفظوا كتبا في شتى الميادين العلمية والأدبية، ولما أدرك الغرب ذلك اتجهوا إلى المؤلفات العربية وراحوا ينهلون منها ويتعلمون العربية ويهتمون بها حتى وصلوا للحد الذي أتقنوها من حيث نطقها وقواعدها، فقد كان الدافع وراء عناية المستشرقين باللغة العربية دافع ديني الغاية منه تشويه الإسلام وتحريفه بالإضافة إلى التبشير، أما الدافع العلمي فقد كان أكثر موضوعية وشفافية وإن اهتمامهم بالدراسات الشرقية كانت من أجل معرفة عدوهم حق المعرفة، فقد كان للاستشراق مظاهر ثقافية لفرض السيطرة الغربية وتطوير القوة العلمية والعسكرية على حساب الشرق فمثلا قاموا بإلقاء المحاضرات وعقد المؤتمرات وغيرها من الأعمال الثقافية.

فصل ثاني: المستشرقون والفكر النحوي العربي

أولا: جهود المستشرقين في خدمة الفكر النحوي العربي

1. أسباب عنايتهم بالنحو العربي
2. جهودهم: تحقيق الكتب، ونشرها، التأليف النحوي...

ثانيا: آراء المستشرقين في قضايا ذات صلة مباشرة بالفكر النحوي العربي

1. قضية أصالة النحو العربي
2. موقفهم من وجود المدرسة الكوفية

ثالثا: آراء المستشرقين في قضايا ذات صلة غير مباشرة بالفكر النحوي العربي

1. التشكيك في ظاهرة الإعراب
2. التشكيك في الشعر الجاهلي

أولا: جهود المستشرقين في خدمة الفكر النحوي:

اهتم المستشرقون بدراسة عادات وتقاليد الشرق وحتى لغاتهم، وأولوا عناية خاصة للآداب العربية والإسلامية؛ فقد اختص هؤلاء في دراسة أحوال الشرق والأمة وشؤونها وعلومها ودينها، أي إنهم اطلعوا على كل شيء فيه.

انكب المستشرقون بكل قواهم المادية والمعنوية على دراسة تراث الإسلام بأسره بوجه خاص، إذ هو الطريق الوحيد إلى فهم طبيعة روح الشرق، وعكفوا على البحث في تراث العرب بوجه عام، لأنه لا مجال للشك في أن دراسة اللغة العربية هي الأساس الأول لدراسة الحضارة العربية والتعمق في فهم العالم العربي[1].

ومن العلوم التي اهتم بها المستشرقون، وأولوها عناية فائقة: النحو العربي حيث درسوه دراسة تاريخية تطورية وألفوا فيه كتبا كثيرة.

1. أسباب عنايتهم بالنحو العربي:

كان للمستشرقين إنجازات عديدة، نجدها في بعض التخصصات أكثر دقة، ووضوحا مما أنجزه العرب، وأخذت هذه الأعمال مصادر ومراجع أصلية للعربية. وهذا في كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد فبحثوا في فقهها، وأصولها ولهجاتها، ونحوها، وصرفها وأصولها، ومعاجمها، ومادتها، وفلسفتها، وعلاقاتها، باللغات الأخرى وبخاصة اللغات السامية، ومميزاتها وعناصرها، وتاريخها، ونقوشها، وكل ما أنتجته هذه اللغة[2].

إن الدراسات اللغوية عند العرب لها قيمة كبيرة؛ فهي حلقة مهمة في سلسلة العلوم الإسلامية وقد عدّها فايس(weiss) على درجة من الأهمية لمن أراد أن يُقَوِّم الحضارة الإسلامية، بل ذهب هذا المستشرق إلى أبعد من ذلك، فنَوه بأهميتها التي تتجاوز دورها الكبير في تاريخ الدرس اللغوي عامة، إلى مكانتها في دراسة تاريخ الفكر الإنساني على الإطلاق[3]، يرجع هذا إلى أهمية اللغة العربية وصلتها الوثيقة بالإسلام والقرآن، وباعتبارها ثروة فكرية وحضارية ودينية وتعبر عن الأمة وآدابها.

---

[1] أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص166.

[2] مر ن، ص 184.

[3] إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، ص 13.

كان للمستشرقين جهود ضخمة في مجال الدراسات التاريخية، تمثل ذلك جليا وواضحا في سعيهم إلى تأليف المعاجم التاريخية للغة العربية، كما كثرت بحوثهم وتأليفهم في فقه اللغة، ودراسة باقي العلوم، ومنها النحو العربي دراسة تاريخية تطورية، كما ألفوا في مجال النحوي كتبا كثيرة[1].

ومن هاته الدراسات العربية كتاب (النحو العربي)، وكتاب (الحروف الهجائية في العربية)، للمستشرق الفرنسي غييوم بوستل (Guillaume Postel)وأسهم كذلك المستشرق الإنجليزي بوكوك .E) Pococke) ونشر كتاب بعنوان عربي: (لمع من أخبار العرب) وهو أول كتاب يطبع في أوكسفورد بحروف عربية[2].

كان النحو العربي في صورته التي وصلت إلينا عن النحاة القدامى الوسيلة المهيئة لدرس اللغة العربية، وفي هذا يقول ألبرت ديتريش (Albert Dietrich):« وكانت عدة المستشرق في تعلم نحو اللغة مجموعة من الكتب التي أخذت عن العرب طريقهم، وخضعت في الوقت نفسه لمنهج الغرب في دراسة اللغة.[3] »

لا شك في أن المستشرقين وجدوا صعوبة في فهم اللغة العربية من خلال كتب التراث اللغوي العربي، وبخاصة أنهم يقبلون عليها وقد تمكنوا من طرائقهم في درس لغاتهم، بيد أن فريقا منهم –على الأقل– كان قادرا على فهم النحو العربي فهما جيدا، حيث ترجم يانز (Jahns)كتاب سيبويه إلى الألمانية واعتمد في ذلك على شرح السيرافي لكتاب سيبويه[4].

ولسنا نقصد بهذا أن المستشرقين ظلوا يعتمدون على النحو العربي في تعلم العربية، فلهم مدارسهم الخاصة ومناهجهم المتميزة في وصف اللغة العربية وتعلمها.

[1] حمدان عبد الله، موقف الحركة الاستشراقية من تاريخ النحو العربي ونقدها، ص 29.

[2] ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار الملايين، بيروت– لبنان، ط3، 1993، ص283.

[3] إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، ص13–14.

[4] مر ن، ص103.

وهم قلّما يسيرون الآن على خطى النحو العربي بغرض تعلم العربية، فمن أبرز طرائقهم في تناول العربية دراستها في ضوء مناهجهم وفي ضوء درس لغاتهم[1].

والجدير بالذكر هو حرص المستشرقين وعنايتهم باللغة العربية، وهم ليسوا من أبنائها ولا يمتون إليها بصلة، وقد يكون للبعض مآرب استعمارية، لكن لم يكن هذا الغرض الأساسي فهناك طائفة منهم خدموا اللغة العربية عن صدق وإخلاص فهناك آلاف الكتب التي نشرت بالعربية[2].

2. جهودهم في تحقيق الكتب ونشرها، والتأليف النحوي:

عكف المستشرقون على تحقيق الكتب ونشرها، وإخراج المعاجم، فأنتجوا الآلاف من الكتب والبحوث التي تناولت مسائل وموضوعات مختلفة عن اللغة العربية.

فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث وقابلوا بين النسخ المختلفة ولاحظوا الفروق وأثبتوها ورجحوا منها ما حسبوه أصحها وأعدلها، وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والأعلام أثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها، وقاموا في بعض الأحيان بشرح بعض الكتب شرحا مفيدا[3].

ومن المستشرقين الذين عملوا على ترجمة الكتب العربية إلى لغاتهم نجد المستشرق الألماني فايل سيمون (Weils)ترجم أطواق الذهب للزمخشري، وألف ليلة وليلة، وترجم إلى الألمانية كذلك سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– لابن هشام في مجلدين وألحقها بحواش وتعاليق وشروح، ونشر كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين للأنباري مع شروح وتعليقات وفهارس بالألمانية، وترجم معلقة الشنفرى وعلق عليها[4].

وحقق المستشرق الألماني قيستنفلد(W.Uestenfeld) كتاب (المعارف) لابن قتيبة، وقدّم خدمات جليلة بما حققه ونشره من مخطوطاتها القديمة النادرة، وبما صنفه بالألمانية عن آدابها وتاريخها حتى

[1] إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، ص14-15.

[2] أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص167.

[3] مر ن، ص. ن.

[4] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط5، 2006، (ج2) ص366.

عدّ علاّمة فيها ونشر (كتاب طبقات الحفاظ) للذهبي، و(كتاب وفيات الأعيان) لابن خلكان، و(تقويم البلدان) لأبي الفداء، و(اللباب في معرفة الأنساب) لابن الأثير الجزري، و(كتاب الاشتقاق) لابن دريد[1].

وما قدمه المستشرق الألماني فلايشر(Fleischer.H. L) من مساعدات علمية جليلة عند تحقيق مخطوطات الكتب العربية مثل: نفح الطيب، معجم البلدان، الفهرست، والكامل للمبرد والكامل في التاريخ لابن الأثير، التي نشرها دوزي (Douzi)وقيستنفلد(Uestenfeld) وفليجل(Flugel) ورايت (Wright)على توالي، وتعرض لها بالنقد[2].

وكذلك اشتهر المستشرق الانجليزي بيفان(A.Bevan) بتحقيقه لنقائص جرير والفرزدق وقد عني بتحقيقها عناية مدهشة، ووضع لها فهرسا لتفسير ألفاظها على حروف المعجم، وشرح المعنى حسب القرائن، لأن كثيرا منها لم تذكرها المعاجم العربية القديمة مع حواش عديدة مفسرة أو مترجمة بالإنجليزية[3].

وكذلك ما أنتجه المستشرق الإنجليزي آبري (A.J.Arbery)من كتب وتحقيقات لمخطوطات وترجمات، فقد ترجم مسرحية مجنون ليلى للشاعر أحمد شوقي إلى الإنجليزية كما نشر تحقيقا لكتاب التعرف إلى أهل التصوف، وكتاب الرياضة للحكيم الترميذي الذي طبعه في القاهرة[4].

وقد حقق المستشرق الألماني برجشتراسر (Bergestrasser) القراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابن جني، ونشر كتاب اللامات لأبي الحسين القزويني، وتهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، وعاون على نشر طبقات الفراء لابن الجوزي، ومن مباحثه: قواعد العربية لأحمد بن فارس[5].

لم تقتصر جهود المستشرقين في التأليف وتحقيق، وإنما تجاوزته إلى توليهم مهام التدريس في الجامعات العربية، فكان منهم:

---

[1] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص368.

[2] محمد عوني عبد الرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ص28.

[3] نجيب العقيقي، المستشرقون (ج2)، ص 79-80.

[4] ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص05.

[5] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون (ج2)، ص450.

الأستاذ شاده (Schaadee)الذي خلف الأستاذ شتيرن(Stern) أول مدير للمكتبة الخديوية بالقاهرة، والذي يعد أول من عمل في الجامعات المصرية من المستشرقين الألمان الأستاذ ليتمان (E.Littman)كان عميد لكلية الآداب ثم عمل بعده من الأساتذة الألمان برجشتراسر (Bergestrasse) وشاخت(J. Scacht) .

وكذلك كان من هؤلاء المستشرقين من كان عضو في مجمع اللغة العربية: فيستر[1].

ونجد أيضا المستشرق الإيطالي نلّينو (C.A.Nallino)دعته الجامعة المصرية القديمة إلى تدريس تاريخ الفلك عند العرب ثم تاريخ الأدب العربي، وكان لتدريسه في الجامعة أثر في تكوين كبار الأدباء في مصر أمثال: طه حسين[2].

وصار المستشرق اليهودي ماريو ليو أري(Leo Ary Mayer) مدرسا في معهد الدراسات الشرقية التابع للجامعة العربية في القدس، وارتقى إلى رتبت أستاذ ثم تقلب في عدة مناصب إدارية في الجامعة العبرية: فكان عميدا لهذا المعهد، وعميدا لكلية الآداب ومديرا للجامعة العبرية[3] .

ولم يقتصر دور المستشرقين على تحقيق الكتب ونشرها، أو توليهم التدريس إنما ألفوا في المجال النحوي كتبا كثيرة بعد أن تمكنوا من تعلم اللغة العربية بأبجديتها وقواعدها.

لكن هناك من العرب من هاجم المستشرقين في كل ما قدموه من أعمال ودراسات:

مثلا أحمد فارس الشدياق الذي جعلهم ضررا وبلاء، ولا نفع منهم ولا دفع، فيقول: إن هؤلاء الأساتذة لم يأخذوا العلم عن شيوخه... وإنما تطفلوا عليه تطفلا، وتوثبوا عليه توثبا، ومن تخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسس[4].

[1] ينظر: محمد عبد الرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ص344.

[2] ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص548.

[3] ينظر: مر ن، ص538.

[4] محمد عبد الرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ص08.

وشكك أيضا عبد القادر يوسف في كل ما قام به المستشرقون من أبحاث وتحقيقات وترجمات ودراسات، فيقول: ومن المؤسف حقا أن بحوث المستشرقين والمستعربين في جملتها وتفصيلها لم تكن في الغالب لوجه العلم والحقيقة كما يدعون وكما يدعى بعض الذين أخذوا ببحوثهم وآرائهم وتوجيهاتهم من أبناء الأمة العربية[1].

وثمة فئة يقفون موقف المدافع عن الاستشراق والمستشرقين، نذكر:

طه حسين الذي يعترف بفضل المستشرقين الذين درس عليهم في الجامعة المصرية وفي الجامعة السورية ويكذب ما جاء ضدهم، ويمدح منهجهم[2].

وكذلك نجيب العقيقي في كتابه المستشرقون الذي ينقل فيه ما قيل في الهجوم عليهم ويكذب ما جاء ضدهم.

ويقول يوسف أسعد داغر في حديثه عن المدارس الاستشراقية:« إنها نموذجية قياسية، بمعنى أن المستشرق يأخذ ببحثه على وجه من منطق العلم وجوه البحث في الطريقة والسياقة والاشتراط والتوسط والعرض والبسط[3]. »

فقد اهتمت المدارس الاستشراقية باللغة العربية وفقهها ونحوها ولهجتها العامية، كما تطرقت إلى البحث عن الأصول الأولى للغة العربية وتطورها.

[1] محمد عبد الرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ص08.

[2] مر ن، ص 11.

[3] مر ن، ص ن.

ثانيا: آراء المستشرقين في قضايا ذات صلة مباشرة بالفكر النحوي العربي:

من أهم المسائل التي شغلت المستشرقين محاولتهم التأريخ لمحطات بارزة ومهمة في تاريخ الفكر النحوي عند العرب، بوصفه حلقة في سلسلة الفكر العربي الإسلامي.

وقد أحصى بعض الباحثين ما صدر من هذه البحوث على مدى القرنين الأخيرين، إنها تصل إلى أربعمائة مؤلف ما بين كتاب ومقال وأطروحة لمستشرقين وعرب[1].

والمتأمل في آراء المستشرقين يجدها تارة متشابهة وتارة متضاربة للحد الذي يصل إلى التناقض والمعارضة، فكل واحد يسعى جاهدا لإثبات رأيه بأي شكل من الأشكال، وهم في ذلك بين مؤيد ومعارض، ولكل مستشرق نواياه المعلنة أو الخفية.

دون أن ننسى موقف الباحثين العرب فيجدها هي الأخرى متضاربة تابع مغلوب عليه، ومقتنع يضيف ويؤكد على أدلة المستشرقين.

وفيما يلي سنحاول رصد بعض الآراء الاستشراقية التي لها صلة مباشرة بالتأريخ للفكر النحوي العربي، مع الردود عليها.

1. قضية أصالة النحو العربي:

تعد اللغة العربية من أعرق اللغات الإنسانية، فقد كان العرب يستعملون اللغة عن طريقة السليقة حتى ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية واعتناق الأعاجم الإسلام. فبدأ اللحن يتسلل إلى الألسن، فظهر النحو العربي مرتبطا بالقرآن الكريم فهو دواء يكف داء اللحن عن الانتشار.

وعلى الرغم من أن أكثر الدلائل التاريخية تسلم إلى أصالة النحو العربي في بيئته العربية إلا أن ثمة فئة من المستشرقين والعرب من تشكك في ذلك، فقد وصف الباحث اللغوي عبد الرحمن الحاج صالح بحوث بعض المستشرقين، فقال: «والغريب المقلق أن هذه البحوث ألبست لباس البحث النزيه هي التي تنفي كل طرافة للمناهج العربية في النحو، وتنكر أن يكون النحاة العرب أخرجوا شيئا جديدا (...) وذهبوا يقارنون

[1] ينظر: إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، ص38.

بين مصطلحاتهم، وما تواضع عليه اليونان من قبلهم في علم النحو، ورأوا في تقسيم العرب للكلام تقسيما أرسطو طاليسيا محضا[1]».

1. المستشرقون المشككون في أصالة النحو:

ينكر بعض المستشرقين أن يكون النحو انبثق من بيئة عربية خالصة وأن يكون من صنع أبي الأسود الدؤلي أو غيره من العرب وأنه متأثر بإحدى الحضارات التي سبقت العرب.

- قول المستشرقين بتأثر النحو العربي بالنحو السرياني:

فيذكر المستشرق الألماني مركس(Merx) في كتابه (تاريخ صناعة النحو عند السريان) الذي نشره في القرن 19، زعما أن المنطق اليوناني أثر في النحو العربي لأن الثاني اقتبس من الأول بضعة مفاهيم ومصطلحات[2].

وكان الأبرز في هذه القضية مركس (Merx) مقتفيا أثر جويدي (I. Guidi) الذي نشر بحثا سنة 1877 باللغة الإيطالية زاعما فيه أصل النحو العربي مأخوذ من الفكر اليوناني[3].

- قول المستشرقون بتأثر النحو العربي بالنحو اليوناني:

ومن المستشرقين الذين قالوا بتأثر النحو العربي بالعلوم والفلسفة اليونانية، المستشرق الهولندي فيرستينغ (Versteegh) الذي شارك في قضية التأثر بأكثر من بحث وحاول تقديم جملة من الأدلة والبراهين التي تثبت أن النحو العربي متأثرٌ بالمنطق اليوناني، وكذلك نجد المستشرق الألماني هوفمان (Hofmann)الذي نحا منحى المستشرق الهولندي.

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، دار موفم، الجزائر، 2007، (ج1)، ص 42-43.

[2] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، دار الأمل، الأردن، ط3، 2001، ص31.

[3] ينظر: عبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1993، ص85.

وذهب بعض المستشرقين إلى أن لابن المقفع دورا في نشر الأفكار اليونانية، فيلقانا المستشرق الألماني بول كراوس (P.Krous) الذي لاحظ أن ابن النديم لم يذكر شيئا من تراجم يونانية لعبد الله (ابن المقفع)، ولكنه في ثبت مترجمي كتابي أرسطو (قاطيغوريا وباري أرمينياس)يذكر ابن المقفع وليس عبد الله ابن المقفع[1].

ويرى المستشرق الفرنسي جيرار تروبو (G.Troupeau) أنه يمكن أن نجد تماثلا ما بين المصطلحية السريانية والمصطلحية العربية في مجال علم الأصوات فمفاهيم: الحركة والفتح والنصب والكسر والجر والضم والرفع لا تخلو من المصطلحين من المناسبة والمشابهة[2].

وكانت أبحاث المستشرق الألماني ماكس مولر (Marcus Muller)، أكثر شهرة حيث قرر أن العرب تأثروا في نحوهم باليونانيين من خلال السريان؛ فقد عرف النحاة أفكار ثراكس وغيره من النحاة اليونانيين، وقد وصلت أفكار السريان إلى النحاة العرب وللتأكيد على زعمه قرر وجود علاقة ما بين المصطلحات والمفاهيم النحوية العربية والفكر اليوناني[3].

ومن المستشرقين الذين قالوا بمسألة تأثر النحو اليوناني عن طريق السريان المستشرق الفرنسي رينان (E. Renan)، بمعنى أن مصطلحات النحو السرياني وصلت إلى النحو العربي عن طريق اليونانية.

- **العرب المشككون في قضية أصالة النحو العربي:**

ومن العرب الذين شككوا في قضية أصل النحو العربي وأنه تأثر بالنحو السرياني جرجي زيدان حيث قال: «فالظاهر أن العرب، لما خالطوا السريان في العراق اطلعوا على آدابهم وفي جملتها النحو، فأعجبهم، فلما اضطروا إلى تدوين نحوهم نسجوا على منواله لأن اللغتين شقيقتان. ويؤيد ذلك أن العرب بدأوا وضع النحو، وهم في العراق بين السريان والكلدان[4]»

[1] إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، ص38.

[2] محمد الصماري، أصالة النشأة في النحو العربي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة صفاقس- تونس، حولية 38، 2011، ص 28.

[3] حمدان عبد الله، الجوانب السلبية لجهود المستشرقين مقارنة بعض القضايا اللغوية، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة- الجزائر، ع13، 2018، ص46.

[4] أحمد جميل شامي، النحو العربي وقضاياه ومراحل تطوره، دار الحضارة، بيوت- لبنان، (د.ط)، 1988، ص39.

و أيد هذا الرأي كذلك: أحمد أمين وإبراهيم مصطفى، اللذان اتفقا بأن المصطلحات النحوية التي نسبها إلى أبي الأسود الدؤلي تخالف طبيعية العصر الذي عاش فيه ولا تتفق معها[1].

فهناك من يزعم أن أبا الأسود الدؤلي لم يضع النحو ونقط الإعراب من ذاته، وإنما كان مقتديا بالشكل الذي وضعه السريان لكتابهم المقدس، وقد عقب على هذا الأستاذ عبد الحميد حسن بقوله:« المعروف في تاريخ اللغات السامية أن السريان هم الذين ابتدعوا علامات الحركات في لغتهم، وأخذها عنهم سائر الساميين وكانت هذه العلامات نقطا فوق الحرف أو تحته أو وسطه، وقد قصدوا بذلك الاحتفاظ بالأحرف الهجائية دون تغيير فيها، فهل من صلة بين هذا وبين ما عمله أبو الأسود الدؤلي في اللغة العربية؟[2] »

فمن خلال تساؤل عبد الحميد حسن يحاول أن يثبت أن النحو العربي تأثر بالنحو السريان.

وقد أجب حسن عون على سؤال عبد الحميد حسن؛ حيث قرر دون تردد أن طريقة الشكل –وهي اللبنة الأولى في بناء النحو العربي– قد استمدها أبو الأسود الدؤلي من النحاة السريانيين[3].

وأن علاقة المزعومة بين أبي الأسود الدؤلي ويعقوب الرهاوي فنجد حسن عون ومصطفى نظيف الذي يقول: «إنه كان ثمة ملابسات ذات بال اكتنفت وضع النحو العربي؛ فقد كان يعقوب الرهاوي من معاصري أبي الأسود. وكان بارعا في الفلسفة واللاهوت والنحو والتاريخ وله كتاب في النحو السرياني[4]» .

وأن يعقوب الرهاوي أول من اخترع النقط التي كانت ترسم في حشو الحروف، وكان ذلك قبل الهجرة، ثم تحولت تلك النقط إلى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث، وحيين انتشر الإسلام، وعم

[1] عبد العال سالم مكرم، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط2، 1993، ص15.

[2] علي أبو مكارم، تقويم الفكر النحوي، دار غريب، القاهرة–مصر، (د.ط)، 2005، ص88.

[3] مر ن، ص88.

[4] إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، ص 51.

بقاعا مختلفة من الأرض، خاف المسلمون، وفكر العرب المسلمون في النقط أو الشكل، واستأنسوا في ذلك بما فعله السريان، وكان أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلي[1].

وأما شوقي ضيف فإن حجته على تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو تقوم على دعامتين؛ أولهما: أن عبد الله بن المقفع هو الذي ترجم منطق أرسطو إلى العربية، والثانية أن الخليل بن أحمد كان صديقا لابن المقفع، فترجمة ابن المقفع منطق أرسطو إلى العربية[2].

2. المستشرقون المؤكدون لأصالة النحو العربي:

ومن المستشرقين الذين تناولوا الدرس النحوي، وحاولوا إثبات أصالة النحو العربي المستشرق الألماني ليتمان(E.Littman) ، الذي يرى أن العرب أبدعوا في وضع أسس القواعد لدرس النحوي، فقال: ونحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا، وهو أن العرب ابتدعوا علم النحو[3].

ونجد كذلك المستشرق الهولندي دي بور(G. Debord)الذي قال: «وبالرغم من هذا كله احتفظ علم لنحو العربي بخصائصه(...)وهو على أية حال أثر رائع من آثار العقل العربي بما له من دقة الملاحظة، ومن نشاط في جمع ما تفرق، ويحق للعرب أن يفخروا به».

أما المستشرق جوتولد فايل (G.Weill)والمستشرق الألماني بروميلش(Braumlich) فيريان أن الخليل كان عربيا خالص العروبة، وينفيان عنه التأثر بالأجانب في وضع النحو العربي[4].

[1] ينظر: عبد المنعم عبد الله خلف حميد الدليمي، علاقة النحو العربي بالنحو السرياني، حوليات الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، مسيلة-الجزائر، ع13، 2019، ص52-52.

[2] ينظر: محمد الصماري، أصالة النشأة في النحو العربي، ص32.

[3] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص32.

[4] مر ن، ص 36.

- **العرب المؤكدون لأصالة النحو العربي:**

ونجد من العرب الذين يؤكدون أصالة النحو العربي، الأستاذ عبد العال سالم الذي قال: «وفي رأيي الخاص أن قضية نشأة النحو مرتبطة بالمعارف السابقة للعرب في الجاهلية وفي العصر الإسلامي وبخاصة في مجالي القراءة والكتابة»[1].

كذلك رد الأستاذ عبد الرحمن السيد أن النحو عربي وأن واضعيه عرب ويتصف بالطابع العربي الأصيل[2]، وتحدث عن هذه المسألة إسماعيل أحمد عمايرة في كتابه (المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات النحوية)، والأستاذة خديجة الحديثي في كتابها المدارس النحوية، والأستاذ علي أبو المكارم في كتابه (تقويم الفكر النحوي) وعبده الراجحي في كتابه (النحو العربي والدرس الحديث).

أن النحو العربي قد نشأ على يد أبي الأسود الدؤلي، وأنه نشأ في بيئة عربية خالصة وترعرع في كنف المنهج الإسلامي، فالنحو نبت كما تنبت الشجرة في أرضها وتثمر، وإن كان قد لحقه التأثر في مراحل تطورية.

2. موقف المستشرقين من وجود المدرسة الكوفية:

نشأ الدرس النحوي العربي بالبصرة قبل الكوفة، وقام على أكتاف رجال بصريين بذلوا ما وسعهم الجهد والوقت في سبيل إرساء قواعده، ووضع أصوله، وتحديد أقيسته، بعد العمل على جمع مادته ودراستها بحرص وأمانة ووعي[3].

وبعد مسيرة تقارب المائة سنة من ظهور النحو البصري، جاء الكوفيون فوجدوا كتابه سيبويه الذي دوى اسمه في تاريخ العربية، فانكبوا على دارسته و الأخذ منه، وكانوا يستمدون منه مادة درسهم الأولى، لكن هذا لا يعني أن الكوفيين قد اقتبسوا درسهم النحوي اقتباسا، أو نقلوه نقلا، فقط برز فيه –الدرس

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص32.

[2] ينظر: مر ن، ص32.

[3] مر ن، ص119.

النحوي- طابعهم العلمي الخاص، فكان لهم في الأصول التي تلقوها، تغيير وتعديل، وكان لهم فيما نقلوه زيادات، بل حاولوا إعادة النظر فيها و الرجوع إلى مصدرها الأول[1].

فللكوفيين إذن طابعهم الخاص، ولهم مصادرهم التي أرجعوا إليها أصول دراستهم النحوية، حتى استطاعوا أن يرسموا لأنفسهم منهجا جديدا ومغايرا لدراسة اللغة والنحو، يميّزهم من نظائرهم البصريين.

وانطلاقا من هذا الحديث لقيت مسألة نشأة الدرس النحو العربي اهتماما كبيرا من طرف العلماء، وخاصة ما تعلق بموضوع وجود المدرسة الكوفية، فتضاربت آراؤهم وذهبوا في ذلك مذاهب مختلفة، فمنهم من ينكر وجود ما اسمه مدرسة نحوية كوفية في التراث النحوي العربي، ويثبت ذلك بأن النحو قديما كان نحو واحدا.

أما الفريق الثاني: فيؤكد أصحابه وجود مدارس نحوية اهتمت كل واحدة منهم بدراسة النحو العربي وفقا منهجها الخاص بها مستقلة به عن غيرها.

1. المستشرقون المنكرون لوجود المدرسة الكوفية:

بدأ الرأي المنكر لوجود المدرسة الكوفية مع المستشرق الألماني فايل((G.Weillالذي شكك في وجود مذهب مكتمل للكوفيين، حينما نشر كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الأنباري لأول مرة وزعم في مقدمته أن الكوفة لم تؤسس لنفسها مدرسة نحوية خاصة[2] إذ يقول:« ومع عظيم الإجلال لمناقبهم -يعني الكوفيين- في غير ذلك من النواحي فإنهم لم يؤسسوا مدرسة نحوية خاصة[3] » واستدل على هذا بأن خلافات نحاتها ولا سيما الكسائي والفراء مع الخليل وسيبويه إنما هي امتداد لما سمعاه من أستاذهما البصري يونس بن حبيب الذي نص القدماء على أنه له قياسا في النحو خاصا به ومذاهب يتفرد بها[4].

[1] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ملتزم، القاهرة-مصر، ط2، 1958، ص329.

[2] شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط7، (د. س)، ص155.

[3] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفية ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص351.

[4] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص155.

وقد حاكى فايل (G.Well)في هذا الرأي ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية ونصه» على أننا لا نستطيع في الحقيقة أن نقول بوجود مذهب مكتمل لنحاة الكوفة، وهو أمر سبق وأن بينه فايل، وإذا عُدَّ أصحابه المزعومين –يعني ثعلب– فريقا قائما برأسه إنما ذلك من اختراع نحويين المتأخرين « [1].

وتتطور أفكار فايل ويكثر مؤيدوه ويتوسع الرافضون في حججهم، ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق الألماني رادولف ماتسوخ(G.Macuch) حيث إنه ينفي وجود معالم المدرسة الكوفية، ويؤكد ذلك من خلال أدلة منها: أن الكتب التي تناولت الخلاف بين المدرستين اثنان منهما: كتاب على يد البصريين (اختلاف البصريين والكوفيين)، واثنان آخران مكتوبان بأيد كوفية تحت عنوان (اختلاف النحويين)، ويلخص ماتسوخ (G. Macuch)من هنا إلى لو تكونت معالم مدرسة نحوية في الكوفة لاعتنى بمنهجها الفراء، ولأداه ذلك إلى تطور بعد ثعلب[2].

ويواصل ماتسوخ (G.Macuch)زعمه قائلا: « النحو برمته كان منهج البصريين، فقد بني على أساس من آراء سيبويه، وفي مقابل البصريين لم يكن الكوفيون، فابتداءً من ذلك الوقت لم يدلنا اسم نحوي من الكوفة، بينما البصريون الذين يرجع الفضل في وجودهم إلى شخصية المبرد، قد كونوا ابتداءً من عصره مدرسة وطوروها حتى ظهر منهج القياس كاملا[3].»

- **العرب المنكرون لوجود المدرسة الكوفية:**

ومن العرب الذين يؤيدون هذا الرأي الأستاذ علي أبو المكارم الذي أنكر وجود مدرسة نحوية في التراث العربي وصرح بفساد هذه الفكرة إذ يقول: «فساد تلك الفكرة التي شغلت كثيرا من الدارسين في النحو العربي، قدامى ومحدثين، وهي وجود مدارس نحوية تتميز كل منها بأسلوبها الخاص، ومنهجها الذاتي، ويؤكد ما سبق أن ذكرناه، من أن المنهج الذي سارت فيه الدراسات النحوية واحد، تحكمه قواعد عامة، لم يخرج عليها وإن تفاوت تأثيرها، وإذن ليس ثمة مدارس بالمعنى الذي يقطع بوجود منهج مميز لكل منها في

[1] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص352.

[2] عبد المنعم السيد أحمد جدامي، المستشرقون والتراث النحوي العربي، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص239.

[3] مر ن، ص239.

النحو » [1]فهو يلغي فكرة وجود مدارس نحوية مختلفة المنهج، ذلك أن منهج دراسة النحو واحد تحكمه قواعد عامة.

وقد أنكر الموضوع نفسه الأستاذ إبراهيم السامرائي في كتابه(المدارس النحوية) إذ يقول: «وقد أنكرت أن يكون مدرستان هم البصرة والكوفة، فالنحو القديم واحد وإن كان من شيء، فاختلاف اللاحقين ممن دعوا بالكوفيين عن المتقدمين البصريين، مسائل تتصل كما أشرت بالفروع وليس بالأصول [2] »،ويضيف أيضا: «وقد انتهيت إلى أن ما يُدعى بالنحو الكوفي شيء مفتقر إلى المصطلح الفني، وإن اشتهر لهم شيء من هذا[3].»

فإبراهيم السامرائي منكر لوجود شيء اسمه المدارس النحوية في التراث العربي، ويقول بأن النحو القديم نحو واحد، وإن مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين متعلق بالفروع لا بالأصول.

إن أصحاب هذا الرأي يرفضون الإقرار بوجود مدرسة الكوفية ذات منهج مستقل عن سابقتها- المدرسة البصرية- وأما ما زعمه المستشرق فايل(G. Weill) من أن الكوفة لم تكن لها مدرسة نحوية خاصة، فقد بنى زعمه فيه على كثرة الخلافات بين أئمتها، وهو دليل المنقوص، ذلك أن نحاة الكوفة يكونون جبهة لطالما تناظر أفرادها مع أفراد جبهة البصرة، وأما مسألة الخلاف بين الكسائي وتلميذه الفراء في بعض المسائل فهو من حقه، على نحو ما خالف سيبويه أستاذه الخليل وهما إماما المدرسة البصرية[4].

1. المستشرقون المؤكدون لوجود المدرسة الكوفية:

هناك عدد من المستشرقين الذين يؤكدون وجود مدرسة نحوية باسم المدرسة الكوفية في التراث العربي، ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق الهولندي كيس فرستيج (K. Versteegh)إذ يشير إلى أن ثعلبا تكلم عن النحاة البصريين والكوفيين كمجموعات موجودة وحقيقية ومؤكدة، وليست كتقسيمات وجدت من خلاله.

[1] علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار غريب، القاهرة، مصر، (د ط)، 2005، ص267.

[2] إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية، دار الفكر، الإسكندرية، مصر، ط1، 1987، ص159.

[3] إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية، ص160.

[4] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص156.

كما أن الكسائي والفراء استعمل مصطلحات خاصة بهما في تعليم النحو، كما أن المبرد استعمل تعبيرات "هؤلاء الكوفيين" ويشير إلى فكرة المجموعة المتنافسة من النحاة بكلمات مثل" هذا بصري"[1].

والإقرار بوجود مدرستين نجده كذلك عند المستشرق الفرنسي جيرار تروبو (G.Troupeou)الذي يرى أن التقاء منهجي الكوفة والبصرة كان في بغداد، وخرج بنتيجتين مهمتين في تطور الدراسات النحوية الأولى: الاختلاط المنهجي من خلال عدد من النحاة في القرن العاشر ميلادي، كما أن مصطلحات كثيرة اختلطت ما بين الكوفية وبصرية، عند نحاة هذه الفترة.

النتيجة الثانية: نشأة الخلاف تطوره بين فريقي المنهجين في كتب من نوع جديد يُقسم فيها النحاة من حيث منهجهم إلى كوفي ومنهم ثعلب؛ وهو الذي بنى الكتاب الأول من هذا النوع ومنهج بصري[2].

نلاحظ أن تروبو يُقرّ بوجود منهجين مختلفين منهج بصري ومنهج كوفي.

كما أن المستشرق الأمريكي مايكل كارتر (M .Carter)يشير إلى أنه عندما نفسر الخلاف النحوي على ضوء أفكار فايل الرافضة لوجود مدارس نحوية عند العرب، فإن تطور المدرستين و الطبيعة الخاصة بالنحو البصري يبدوان مرتبطين بدقة بالحضارة الإسلامية، والبصريون شغلوا بقضايا لغوية حقيقية، على عكس ذلك الكوفيون –الذين هم من وجهه نظره– قد أجبروا على الجدال والحجاج، كانوا في مرتبة أسفل في المجادلة[3].

- **العرب المؤكدون لوجود المدرسة الكوفية:**

ومن علماء العرب الذين دافعوا عن وجود المدرسة الكوفية كإحدى المدارس النحوية في التراث العربي، الأستاذ مهدي المخزومي في كتابه (مدرسه الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) إذ يقول:« إن

[1] عبد المنعم أحمد السيد جدامي، المستشرقون والتراث النحوي العربي، ص256.

[2] عبد المنعم أحمد السيد جدامي، المستشرقون والتراث النحوي العربي، ص256.

[3] مر ن، ص255.

الكسائي بمنهجه وأساليب دراسته مدرسة لها خصائصها ومميزاتها، فليست المدرسة إلا أستاذا مؤثرا، وتلاميذ متأثرين، وقد اجتمعوا على تحقيق غرض موحِّد، ونهجوا للوصول إليه منهجا جديدا. »[1]

ويضيف عبد الأمير محمد أمير الورد رأيًا مؤيدًا لوجود المدرسة الكوفية، ويقول: « ولعل من اليسر أن نلخص إلى رأي ألصق بالعلم التاريخي من الأقوال القائمة على التقليد تارة، وعلى الحماسة التي لا تخدم العلم تارة أخرى فنقول: إن للكوفيين آراء في النحو ونظرا يختلف عن آراء غيرهم نلمسه عند الكسائي والفراء والثعلب، وما قيل في مصادر الكوفيين وأساليبهم في النظر لا يبتعد كثيرا عما سلكه البصريون [2].»

إن القول بعدم وجود مدرسة كوفية في التراث العربي، قول مبالغ فيه، حيث بنى أصحاب هذا الرأي موقفهم، على أن فكرة المدارس النحوية لا يظهر لها أي دليل في عهد سيبويه والكسائي، فلا يمكن أن ننكر أن كل علم في بدايته يلقى العديد من النقائص وهذا شأن النحو الكوفي، الذي بلغ أشده مع الكسائي الذي أخذ العلم عن أساتذته الكوفيين الرؤاسي ومعاذ الهراء أوّلا، ثم ارتحل إلى البصرة وتتلمذ للخليل بن أحمد ومن بعده يونس بن حبيب، ولقي الأخفش الأوسط في بغداد، الذي قرأ عليه كتاب سيبويه[3]، و لعل خير دليل على فضل وجود المدرسة الكوفية تلك الآراء والمسائل النحوية الجديدة التي نقشها نحاة الكوفة، دليلاً كافياً على أن النحو الكوفي تطور شيء فشيئا حتى استوى، كذلك التباين الحاصل في الخصائص المنهجية التي تميز كل مدرسة دليلا آخر قطعي على وجودها.

والمعروف أنه لكي يصاغ علم صياغة دقيقة لابد له من اطّراد قواعده، وأن تقوم على الاستقراء الدقيق، وأن يكفل لها التعليل أن تصبح لكل قاعدة أصلا مضبوطا تقاس عليه، حيث اتسع الكوفيون في الرّواية

[1] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص106.

[2] عبد الأمير محمد أمين الورد، المدارس النحوية بين التصور والتصديق والسؤال الكبير، المكتبة العصرية، بغداد، العراق، ط1، 1998، ص26.

[3] نبيلة قريني، التأريخ للفكر النحوي العربي ببصمة المستشرقين بين التأييد والتفنيد، ملتقى جهود علماء الاستشراق والاستعراب في خدمة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس، الجزائر، 2020، ص437.

بحيث لم يتشدد في فهم الفصاحة كما تشدد البصريون، بل توسع في مصادر السماع مقارنة بالبصريين ومن ثم كانت مدتهم اللغوية أوفر، ومن الخصائص المنهجية المميزة لكلتا المدرستان الاتي[1] :

- يشيع في المدرسة الكوفية طابع الاتساع في القياس، فإذا كان شرط صحة القياس عند البصريين هو الكثرة، فإن الكوفيين عُرفوا بالقياس على المثال الواحد، لأنهم إذا سمعوا لفظا في الشعر أو نادر كلام جعلوه بابًا كأنهم كانوا يشعرون بأن ما قاله الأعرابيّ أو الأعرابيّة إنما يمثل بنية لغوية لا يصلح إغفالها.
- قلّة الكلام الشاذ في النحو الكوفي الذي يكثر في النحو البصري لاعتدادهم بالمثال الواحد واتخاذه أصلا في بناء القاعدة.
- غلبة النقل على العقل في الأحكام الكوفية، وعدم عنايتهم بالتعليلات والتخريجات العقلية كما هو الحال البصريين.
- حرص الكوفيون على أن تكون الأصول الخاضعة في شكلها النهائي لأمثلة المستعملة المسموعة، فما يكادون يسمعون مثالا يَشُذُّ على أصلٍ موضوعٍ حتى يسارعوا إلى إعادة النظر في هذا الأصل وتغييره حتى يتلاقى مع هذا المثال[2].

الأكيد أن النحو الكوفي لم ينشأ فجأة، ولم ينشأ ناضجا ومتميزا، وإنما نشأ نشأة طبيعية، ثم تطور شيئا فشيئا حتى استوى في صورته الحالية، وكون لنفسه منهجا وأحكاما ومصطلحات متقاربة أو مغايرة بما جاءت به المدرسة البصرية، ولا يمكن نكران أن النحو الكوفي في بدايته كان بصريا لا محالة، نشأ إما على أيدي رجال ارتحلوا من البصرة إلى الكوفة، ونشروا النحو هناك، وإما على يد الكوفيين ارتحلوا إلى البصرة وأخذوا النحو عن أربابه ثم عادوا ونشروه في الكوفة.

[1] نبيلة قريني، محاضرات في المدراس النحوية، جامعة قالمة 08ماي 1945، قالمة كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2021-2022، ص10.

[2] نبيلة قريني، محاضرات في المدراس النحوية، جامعة قالمة 08ماي 1945، قالمة كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2021-2022، ص10.

ثالثا: آراء المستشرقين في قضايا ذات صلة غير مباشره بالفكر النحو العربي:

1. التشكيك في ظاهرة الإعراب في اللغة:

ظاهرة الإعراب من خصائص اللغات السامية، واللغة العربية واحدة من هذه اللغات، التي تتميز بهذه الظاهرة اللغوية، وبقيت محافظة عليه إلى يومنا هذا، على عكس اللغات الأخرى؛ فاللغة العربية تعتمد في تغيير المعاني على تغيير حركات أواخر الكلمات، فالإعراب هو القانون الذي يسير عليه المتكلم، وهو عدّته في بناء الكلام وتأليفه، وبدونه يصبح الكلام مبهما لا ينئ عن مقصود ولا يفصح عن مراد، ولهذا اهتم علماء ونحاة العرب بقضية الإعراب في اللغة، نظرا لرفضهم للحن والخطأ، فكان هذا أول الأسباب الداعية إلى وضع النحو كله، خوفا على العربية وحرصا على كتابهم الكريم أن يتطرق إليه اللحن أو يدخل في لغته الفساد، فأوضحوا مظاهره وصوره، وبحثوا في أسراره وعلله حتى استوى عندهم درس علمي له أسسه وقواعد. فقد شكلت الحركات الإعرابية الأساس الذي انبثقت منه أحكام النحو العربي في جملته، بوصفها قرينة من القرائن النحوية، فقد استقرت قناعة جميع النحويين العرب –غير قطرب (206هـ) – على أن الحركات الإعرابية تدل على المعاني المختلفة التي تعتري الأسماء من فاعلية، أو مفعولية أو إضافة، وغير ذلك[1].

وتعد قضية الإعراب من القضايا المثيرة التي تناولها المستشرقون، حتى تباينت آراءهم حول أصالته؛ فمنهم من طعن في ظاهرة الإعراب وأنكر وجودها أصلا في اللغة العربية، وفي المقابل نجد العديد من المستشرقين الذين أنصفوا الإعراب في اللغة العربية وأثبتوا أصالته.

1. المستشرقون المنكرون لأصالة الإعراب في اللغة العربية:

ومن المستشرقين الذين أنكروا ظاهرة الإعراب في اللغة العربية المستشرق الألماني كارل فوللرز(K.Vullers) الذي كان يرى أن النص الأصلي للقرآن قد كُتِب بإحدى اللهجات الشعبية التي كانت سائدة في الحجاز، والتي لا يوجد فيها –كما لا يوجد في غيرها– تلك النهايات المسماة بالإعراب،

[1] ينظر: نبيلة قريني، التأريخ للفكر النحوي العربي ببصمة المستشرقين بين التأييد والتفنيد، ملتقى جهود علماء الاستشراق والاستعراب في خدمة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس، الجزائر، 2020، ص429.

فهو يدعي أن العربية الفصحى التي رواها لنا النحويون مصنوعة، وينكر أن تكون هذه اللغة كانت حية، كما يشكّ أن يكون البدو الذين خرج من بينهم الشعراء كانوا يتكلمون هذه اللغة.[1]

إن فوللرز يذهب إلى أن اللغة التي كتب بها النص قرآني من صنيع العرب كما تلك ليست إلا لهجة شعبية كانت سائدة في قبيلة دون غيرها، وان اللغة العربية ليست ألا صناعة أبدعها النحويون القدامى.

ومن المشككين كذلك المستشرق الألماني باول كاله (Paul E-kale) في فصل كتابه (الذخائر القاهرية) للتدليل على أن الإعراب ليس خاصية أصلية في اللغة العربية، إذا علق على كلمه (الإعراب) بقوله: «في نص أبي بكر الصديق يقول: الإعراب بمعنى: الحركات في أواخر الكلمات العربية طبقا لقواعد العربية الفصحى » [2].

وقد استنتج كاله أن « الإلحاح على ربط قواعد القرآن الكريم بالإعراب لا يبدو معقولا، إلا إذا كان يقرأ في الواقع بدون إعراب، وأريد أن يقرأ بالإعراب الذي عُدّ في وقت متأخر من مظاهر الصحة اللغوية[3].»

فهو ينكر أن يتم ربط القرآن الكريم بالإعراب، ويذهب إلى الاعتقاد أن القرآن الكريم لم يقرا معربا إلا في وقت متأخر حين أصبح الإعراب من ظواهر الصحة اللغوية.

- **العرب المشككون في ظاهرة الإعراب:**

ونجد من اللغويين العرب المحدثين الذين شككوا في حقيقة الإعراب الأستاذ إبراهيم أنيس وما جاء به من دعوة محاولا تفسير اختلاف الأحوال تفسيرا صوتيا، ويمكن تلخيص نظريته في ما يلي:[4]

- ليس للحركات الإعرابية مدلول، فلا تدل الحركات الإعرابية على فاعلية، أو مفعولية، أو إضافة أو غير ذلك.

---

[1] رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط6، 1999م، ص378.

[2] مر ن، ص379.

[3] مر ن، ص ن.

[4] ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966، ص293-253. و: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص380.

- هذه الحركات لا تعدو أن تكون حركات، يحتاج إليها في كثير الغالب، لوصل الكلمات بعضها ببعض.
- هناك عاملان تدخلا في تحديد حركة التّخلص من التقاء الساكنين، أولهما: إيثار بعض الحروف لحركات معينة، كإظهار حروف الحلق للفتحة مثلا، وثانيهما: الميل إلى تجانس الحركات المتجاورة
- سمع النحاة هذه الحركات فأخطئوا تفسيرها، حين عدوها علامات على الفاعلية والمفعولية وغيرها، في حين أنها لا تعدّو أن تكون حركات وصل بين الكلمات.
- حين اعتقد النحاة أنها حركات إعرابية، حركوا أواخر الكلمات التي لا داعي إلى تحريكها لتطرد قواعدهم.
- أما المعرب بالحروف فكانت إحدى صوره تخص قبيلة معينة، والصور الأخرى تخص قبائل أخرى، ولكن النحاة جمعوا كل هذه الصور، وخصوا كل صورة منها بحالة إعرابية معينة.

2. المستشرقون المقتنعون بأصالة الإعراب في اللغة العربية:

نجد من المستشرقين الذين دافعوا عن أصالة الإعراب في اللغة العربية المستشرق الألماني نولدكه (Th. Nldeke)الذي يرى أنه« من الخطأ الشنيع الاعتقاد بأن اللغة الحية في عهد –النبي صلى الله عليه وسلم– لم يكن فيها إعراب؛ فإن العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو، ولكنّ ظاهرة الوقف الشائعة كثيرا في الحديث اليومي قد عودت الأذان على سماع الصيغ الخالية من الإعراب، فاستطاع أحد الشعراء استخدامها عند اتصال الكلام، وعلى الأخص في صيغة المضارع، التي لا تتلاءم كثيرا في وزن الشعر»[1].

كما يرى نولدكه في الفصل الذي كتبه عن(لغة القرآن) في كتابه (مقالات جديدة في علم اللغات السامية) أنه « لوكان النبي– صلى الله عليه وسلم– أو أحد معاصريه من المؤمنين قد نطق بالقرآن دون إعراب لكان من غير الممكن أن تضيع الروايات الخاصة بذلك دون أن يبقى لنا أثار منها » .[2]

[1] رمضان عبد التواب، أصول في فقه اللغة، ص381.

[2] مر ن، ص ن.

ومن المستشرقين الذين يكادون يتفقون على أن الإعراب كان موجودا في اللغة العربية، حينما بدأ النحاة بدراسة النحو، المستشرق اليهودي ولفنسون (Wolfensonn)فقد قال :« ليس في اللغة السامية أثر لإدغام كلمة في أخرى، حتى تصير الاثنتان كلمة واحدة تدل على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين كما هي الحال في غير اللغات السامية، وهذا هو سبب ظهور الإعراب في اللغة العربية، وهناك شيء من بقايا الإعراب في اغرب اللغات السامية » .[1]

وأما المستشرق الألماني يوهان فك (Fuck.J) الذي أقر بأصالة الإعراب فقال: «لقد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصريف الإعرابي بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية– باستثناء البابلية القديمة– قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي، قد احتدم النزاع حول غاية بقاء هذا التصريف الإعرابي في لغة التخاطب الحيّ، فأشعار عرب البادية– من قبل عهد الإسلامي ومن بعده– ترينا علامات مطّردة كاملة السلطان، كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين واللغويين الإسلاميين كانوا حتى القرن الرابع الهجري والعاشر ميلادي، على الأقل، يختلفون إلى عرب البادية، ليدرس لغتهم، تدل على أن التصريف الإعرابي كان بالغا أشده لذلك العهد، بل لا تزال حتى اليوم نجد في البقايا الجامدة من لهجات العرب البوداة ظواهر الإعراب » .[2]

- **العرب المنصفون لقضية أصالة الإعراب:**

ومن العلماء العرب الذين نصروا قضية أصالة الإعراب في اللغة العربية علي عبد الواحد وافي الذي يرى أنه« و إذا أمكن أن نتصور أن علماء القواعد تواطئوا جميعا على ذلك، فإنه لا يمكن أن نتصور أنه قد تواطأ معهم عليه جميع علماء من معاصريهم، فأجمعوا كلماتهم أن لا يذكر أحد منهم شيئا ما عن هذا الاختراع العجيب، ولا يعقل أن يقبل معاصرهم هذا القواعد، على أنها ممثلة لقواعد لغتهم ويحتذوها في كتاباتهم، اللهم إلا إذا كان علماء البصرة والكوفة قد سحروا عقول الناس واسترهبوهم وأنسوهم معارفهم عن لغتهم وتاريخها، فجعلهم يعتقدون أن ما جاؤوا به من الإفك ممثل لفصيح هذه اللغة[3].»

[1] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة منهجها في دراسة اللغة والنحو، ص246.

[2] مر ن، ص247.

[3] علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر، مصر، ط3, 2004، ص164.

ويضيف أيضا: « فنظام الإعراب عنصر أساسي من عناصر اللغة العربية، وليس من إلهام عبقري ولا من اختراع عالم، إنما تكون في صورة تلقائية في أحقاب طويلة، قد اشتملت عليه هذه اللغة منذ أقدم عهودها، وكل ما عمله علماء القواعد حياله هو أنهم استخلصوا مناهجه استخلاصا من القرآن والحديث وكلام الفصحاء من العرب، ورتبوها وصاغوها في صورة قواعد والقوانين[1]. »

ونجد من العرب أيضا مهدي المخزومي إذ يقول: « فإن القول بأن الحركات إنما هي سدّ للحاجة إلى وصل كلمات بعضها ببعض، وإنها ليست أعلاما للمعاني التي قصدها إليها المتكلم قول لم يحالفه التوفيق، لماذا لا تكون هذه الحركات أعلاما للمعاني الإعرابية، فإن عقلية المجتمع في البيئة العربية أرادت التفريق بين أحوال الكلمات في الجملة بعد أن فاتها ولم يتيسر لها التفريق بينها باللواحق[2].»

ومن العرب الذين أبدوا موقفهم في نظرية " إبراهيم أنيس"، "رمضان عبد التواب" ويمكن تلخيص رأيه في الآتي:[3]

- وجود الإعراب كاملا في بعض اللغات السامية القديمة كالأكادية، وتشمل البابلية والأشورية في عصورها القديمة.
- القرآن الكريم الذي وصل إلينا متواترا بالرواية الشفوية والموثوق بها، وصل إلينا معربا، ولا يظن أن النبي –صلى الله عليه وسلم –كان لا يحرك أواخر الكلمات في تلاوة نص القرآني.
- الرسم القرآني الذي نقل إلينا متواترا، يؤيد وجود الإعراب في العربية الفصحى، وأنه ليس من اختراع النحاة.
- الشعر العربي بموازنه وبحوره، لا يقبل نظرية الأستاذ إبراهيم أنيس بحال من الأحوال.
- هذه الأخبار الكثيرة، التي وصلت إلينا، والتي تدل على فطنة العلماء، في الصدر الأول إلى هذه الحركات الإعرابية ومدلولها، وعيبهم لمن يحيد عنها، ممن فسدت ألسنتهم بمخالطهم للأعاجم.

[1] علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة ، ص165.

[2] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص251.

[3] ينظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص 382،385، 386، 387.

إن القول بأن الإعراب قد فقد في لغة التخاطب في حقبة معينة أو أنه لم يوجد أصلا في درس النحو العربي، يعني الطعن في أبواب النحو برمته؛ ذلك أن أحكام النحو العربي في جملتها مبنية على ظاهرة الإعراب، كما أن القول بوضع النحو يعني بطلان النحو العربي على امتداد تاريخه وتعدد اتجاهاته ومشاربه.

2. التشكيك في قضية الشعر الجاهلي:

لقد حظي الشعر الجاهلي بعناية الدارسين من العرب والمستشرقين، فدُرِس من جوانب شتى؛ ذلك لأن الشعر الجاهلي ليس فنًا من الفنون الأدبية وحسب، بل هو زاد العربية ومادتها، عليه قامت علوم العربية وبه فسر القرآن الكريم وبفضله قوّم اللسان العربي، فمسألة الشعر الجاهلي تتصل بالفكر النحوي العربي اتصالا وثيقا؛ إذ هو مصدرٌ من مصادر الاستشهاد اللغوي المعتمدة في استنباط قواعد النحو العربي، وكان اللغويون النحويون مجمعين على صحة الاستشهاد بالشعر الجاهليين، حيث تعلو قيمة الشاهد الشعري في النحو كلما أوفى شاعره الشروط.

والمتأمل في مدونة وحواشي المدونة النحوية العربية، يجد دون طول إمعان ذلكم الحشد الهائل من الشواهد الشعرية التي منها استنبطت قواعد ومعايير النحوية، فالحجاج بالشاهد الشعري لا يتقدم إلا إذا تناسب وحدود الفصاحة والبيان وكان من لغة عصور الاحتجاج، ومن هنا تستقيم به القاعدة النحوية ويقوم عليها القياس وبهذا يصبح الشعر خادما للقاعدة النحوية المستنبطة من المطرد من كلام العرب.

ويقر إمام العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي بمكانة الشعراء إذ يقول: « الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم، فيقربون البعيد ويبعدون القريب ويحتج بهم ولا يحتج عليهم[1]. »

هكذا يجري الإعلاء من قيمة الشعر ومن الواضح أن النحويين وعلماء اللغة الأوائل أولوا الشعر أهمية قصوى باعتباره ديوان العرب ومستودع حكمتهم، فقد فتن النحاة بالإكثار من الاستشهاد بالشعر، وكان الشعر المصدر الأساس وأصلا من الأصول التي اعتمد عليها في بناء دعائم اللغة والنحو.

[1] ميداني بن عمر وعبد الحميد هيمة، النحو والشعر العربي، مجلة الأثر، ورقلة-الجزائر، ع25، 2016، ص267.

غير أن قضية الشعر الجاهلي وقع فيها التشكيك بدورها من المستشرقين، وتباينت آراؤهم ومواقفهم منه؛ إذ أن فريقا منهم تناول الشعر الجاهلي بالنقد والشك، في حين أن فريقا آخر كان منصفا ومعتدلا في نظرته للشعر الجاهلي.

1. المستشرقون المشككون في قضية الشعر الجاهلي:

إن هذه الشكوك حول أصالة الأدب الجاهلي وصحته، كانت من خلال نظرية الانتحال التي طورها عدد من المستشرقين، ومن أهمهم الألماني ثيودور نولدكه(The.Noldeke) في بحث له بعنوان (تاريخ نقد الشعر العربي القديم)ويزعم فيه أن الإنتاج المبكر من الشعر العربي القديم يُظهر في جوهره الأشكال الخارجية والداخلية التي يعكسها شعر صدر الإسلام، حيث يوجد تشابه في البنية الفنية للقصيدة العربية القديمة والقصيدة في صدر الإسلام.[1]

وسار على نهجه عدد من المستشرقين، من أمثال المستشرق الألماني ألوراد Ahlwordt))في بحثه (ملاحظات عن صحة القصائد العربية) ويزعم أنه من الصعب عنده التوثيق لأخبار العرب قبل الإسلام وإعطاء تصور تاريخي عن حياة العرب في الجاهلية، ويشك "ألوراد" في صحة الأنساب الواردة في مصادر العربية القديمة.[2]

كما حاول المستشرق الإنجليزي مَرْجُليوث Margoliouth))نفي صحة الشعر الجاهلي في مقال له، نشر في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية بعنوان (أصول الشعر الجاهلي)انتهى فيه إلى أن ما يسمى بالشعر الجاهلي، لم يَقُله شعراء جاهليون حقا، وإنما نظمه بعض المزيفين في العصور الإسلامية ونحلوه الجاهليين.[3]

---

[1] محمد خليفة، أثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة-مصر، ط1، 1997، ص116.

[2] محمد خليفة، أثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة-مصر، ط1، 1997، ص116.

[3] مر ن، ص ن.

- **العرب المشككون في الشعر الجاهلي:**

وتناول هذا الموضوع من العرب طه حسين إذ شكك في هذا الشعر وأفاض فيه في كتابه المشهور (في الشعر الجاهلي)وانتهى إلى: «أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليس من الجاهلية في شيء، إنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم، وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين[1]. »

كما يذهب إلى أن مرآة الحياة الجاهلية يجب أن تلتمس في القرآن لا في الأدب الجاهلي فيقول: «إني لا أنكر الحياة الجاهلية، وإنما أنكر أن يمثلها هذا الأدب الذي يسمونه الأدب الجاهلي، فإذا أردت أن أدرس الحياة الجاهلية، فلست أسلك إليها طريق امرئ القيس والنابغة، والأعشى(...) لأني لا أثق مما ينسب إليهم، وإنما أسلك إليها طريقا أخر، وأدرسها في نص، لا سبيل إلى الشك في صحته، أدرسها في القرآن، فالقرآن أصدق مرآة للعصر الجاهلي، ونص القرآن ثابت لا سبيل إلى الشك فيه[2]. »

إن ما ذهب إليه طه حسين أثار موجة شديدة من السخط عليه، فمن الطبيعي ألا يرضى أحد بما جاء به من شك في أكثر الشعر الجاهلي أو في الشعراء الذين يعتبرون آباء الشعر العربي، ذلك أن الشعر أكبر علوم العرب وأوفرها حظوظا.

2. المستشرقون المنصفون لأصالة الشعر الجاهلي:

من المستشرقين الذين فنّدوا ما ذهب إليه غيرهم من التشكيك في الشعر الجاهلي، واعترض على افتراءاتهم المستشرق الإنجليزي تشارلس جيمس ليال(Charles gammes lyall) فقد تحدث عن هذا مطولا ذلك في مقدمته لديوان) عبيد بن الأبرص(وقال: «أما موضوع صحة هذا الشعر فأمر من الطبيعي أن يختلف فيه الناس، إذ من المؤكد أن شعر الأعراب في الجاهلية لم ينتقل كتابة بل بالرواية، وكانت القبيلة تعدّ القصائد التي تسجل انتصاراتها أغلى ما تملك (...) وليس من الغريب أن تُنتقل القصائد بهذه الطريقة قرنين أو ثلاثة » [3].

---

[1] طه حسين، في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة-مصر، (د ط)، 2012، ص19،

[2] مر ن، ص25.

[3] ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط5، 1987، ص372.

وقد تزعم حملة الرّد على طه حسين الأستاذ مصطفى صادق الرّافعي في عدّة مقالات عنيفة جمعها مع غيرها في كتاب" تحت راية القرآن"، كما أُلّفت كتب كثيرة للرّد عليه أثّرت في رجوعه عن بعض آرائه، وبخاصة التي كانت تتعرض لأخبار القرآن الكريم بالتّشكيك والطّعن، وصدرت لكتابه الأول طبعة أخرى بعنوان (في الأدب الجاهلي) هي التي لاتزال متداولة.[1]

ولعّل من العرب الذين حاولوا إثبات أصالة الشعر العربي الأستاذ ناصر الدين الأسد في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية)، فلخص الآراء، وعرض لرأي المستشرقين، من المشككين و المعارضين، كما تناول رأي طه حسين بالتحليل والمناقشة، وعقد فصلا عن الرواة وتوثيقهم، و تضعيفهم، دافع فيه عن هؤلاء الرواة، و حاول أن يثبت أن الأخبار، التي وصلت إلينا عنهم، والتي ترميهم بالكذب والوضع، مزيفة، سببها الخصومات، والمنافسات، التي كانت تدور بين علماء العصور الإسلامية الأولى.[2]

إن قضية الشك في الشعر الجاهلي وادعاء اصطناعه تدعو إلى استلزام إلغاء ما استقر قياسا عليه من أحكام وقواعد، ما يعني إسقاط شرخ عظيم من أحكام النحو المقررة استنادًا إليه، فقد اجتهد العلماء اللغة في لتمييز الشعر المصنوع من الحقيقي بما أوتوه من سعة وعلم، فالشك في بعض الشعر الذي يروى من العصر الجاهلي، لا يصلح أن يقودنا إلى إنكار الشعر الجاهلي، ذاك لأنه يعد أصلا من أصول العربية والنحو، ومادة اعتمدها النحاة في وضع أركان الدرس النحوي العربي.

[1] رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص66.

[2] مر ن، ص67.

أبدع المستشرقون في شتى حقول العلم والمعرفة، وفي الفنون والآداب حيث سعوا إلى وضع بصمة استشراقية في الحضارة العربية ليكون ذلك زادا تزخر به اللغة العربية، فقد حاولوا نقل العربية إلى جامعاتهم ومعاهدهم، فأسهموا في خدمة اللغة العربية بشكل كبير من خلال تحقيق وتأليف الكتب ونشرها، حتى وصل اهتمامهم بالدرس النحوي، فبدأوا بدراسته فراح نسب عدد من المستشرقين والباحثين عرب يشكون في أصالته، قائلين بتأثره بالنحو السرياني واليوناني رغم أنه نشأ بسبب الحاجة الماسة إليه وأنه بغالبيته عربي الطابع وعربي الأصالة في نشأته وتسميته، ولأن اللغة العربية لغة منظمة ولها نظام محكم ولهذا كانت حجج المستشرقين في نفي الإعراب مجرد ادعاءات وأنه جاء في عصور متأخر، أما الشعر الذي هو مصدر من مصادر الاستشهاد لكن المستشرقون يدعون أنه كتب في عصر الإسلامي حتى يلقى رواجا أكثر.

خاتمة

حاول البحث تتبع آراء المستشرقين في أهم قضايا الفكر النحوي العربي بين مؤيد ومنكر، مع إيراد موقف الدارسين العرب المحدثين، بعرض أدلة كل فريق ما أمكننا إلى ذلك سبيلا. ونخلص إلى نتائج أهمها:

1) يعد الاستشراق عُملة بوجهين، يحمل في وجه نوايا سلبية، وفي وجه نوايا حسنة.
2) قدّم عدد من المستشرقين خدمات قيّمة لتراث العربي عامة، والنحوي بخاصة، من خلال تحقيق المخطوطات ونشرها، والتدريس في الجامعات العربية، وكذا ترك بصمتهم في مسائل لغوية ونحوية قيمة.
3) تُعدّ مسألة أصالة النحو العربي من أهم المسائل التي شكّك فيها بعض المستشرقين بادعاء تأثره بالنحويين السرياني واليوناني، وجاء ردّ مستشرقين آخرين داحضا لذلك الادّعاء بينما يرجّح أصالة النحو العربي.
4) إنكار أصالة الإعراب في اللغة ليس مجرد إلغاء لحركات في أواخر الكلمات، بل إن له أبعادا خطيرة أهمها:

- التشكيك في صحة النص القرآني، وهدم النحو العربي برمّته والقذح في نزاهة العلماء المسلمين وأمانتهم عبر العصور.

5) ادّعاء انتحال الشعر الجاهلي، من قبل مستشرقين وعرب يأخذ أبعاد مسألة الإعراب نفسها تقريبا؛ فإلغاء الشعر الجاهلي، يعني إلغاء عدد كبير من قواعد النحو التي تأسّست عليه، والظنّ في أمانة الرّواة، بل إنكار سمة بارزة من سمات الأمة العربية التي أوتيت الحكمة في قول الشعر والتفنن في نظمه.
6) كان موقف بعض الدارسين العرب في بعض القضايا أشدّ إنكارًا، من موقف المستشرقين الذين أثاروها، لاسيما موقف "إبراهيم أنيس" من ظاهرة الإعراب، وموقف "طه حسين" من الشعر

الجاهلي، وهو ما يدلّ على أن ليس كل العرب متقبلين للتراث الفكري العربي؛ وذلك لتأثرهم الشديد بالدراسات الغربية ومناهجها المستحدثة.

7) إظهار عدد من الدارسين العرب براعة في ردّ أدلة المنكرين لأهم قضايا الفكر النحوي العربي من مستشرقين، وهو ما يبعث على التفاؤل في إعادة استنهاض مكانة الفكر العربي في سلسلة الفكر الإنساني عامة، وإثبات أصالة العلوم العربية والإسلامية –ولو في نشأتها الأولى–ذلك أنها ارتبطت كلّها بالنص القرآني المقدّس الذي كرم الله به الأمة العربية ولغتها دون سائر الأمم واللغات.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب الحديثة

1. إبراهيم السمرائي: المدارس النحوية، دار الفكر، الإسكندرية، مصر، ط1، 1987م.
2. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966
3. أحمد جميل شامي: النحو العربي وقضاياه ومراحل تطوره، دار الحضارة، بيوت- لبنان، (د.ط)، 1988م.
4. أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، (د ط)، 1998م.
5. إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حنين، عمان-الأردن، ط2، 1995م.
6. إسماعيل علي محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل " مدخل علمي لدراسة الاستشراق"، دار الكلمة، القاهرة-مصر، (د ط)، 2014م.
7. أنور محمد زناتي: زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة-مصر، ط1، 2002م.
8. رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط6، 1999م
9. شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط7، (د. س).
10. طه حسين، في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة-مصر،(د ط)، 2012، ص19،
11. عبد الأمير محمد أمين الورد: المدارس النحوية بين التصور والتصديق والسؤال الكبير، المكتبة العصرية، بغداد، العراق، ط1، 1998م.
12. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، دار موفم، الجزائر، (د ط)، 2007م.ج1.

13. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار الملايين، بيروت- لبنان، ط3، 1993م.

14. عبد العال سالم مكرم: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط2، 1993م.

15. عبد القادر المهيري: نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1993م.

16. عبد المنعم السيد أحمد جدامي: المستشرقون والتراث النحوي العربي، كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط1، 2016م.

17. علي إبراهيم نملة: كنه الاستشراق-المفهوم- الأهداف- الارتباطات، بيسان، بيروت-لبنان، ط3، 2011م.

18. علي أبو مكارم: تقويم الفكر النحوي، دار غريب، القاهرة-مصر، (د.ط)، 2005م.

19. علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، نهضة مصر، مصر، ط3، 2004.

20. عمر عودة الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط3، 1989م.

21. عمر لطفي العالم: تاريخ حركة الاستشراق، دار الكتب الوطنية، بنغازي-ليبيا، ط2، 2001م.

22. فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 1988م.

23. فاطمة هدى نجا: نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، طرابلس-لبنان، ط1، 1993م.

24. محمد خليفة: أثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة-مصر، ط1، 1997.

25. محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، دار البشر للثقافة والعلوم، مصر، ط1، 2016م.

26. محمد عوني عبد الرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-مصر، ط1، 2004م.

27. محمد فاروق النبهاوي: الاستشراق: تعريفه ومدارسه وأثاره، المنظمة الإسلامية، الرباط-مغرب، (د ط)، 2012م.

28. محمد فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، المنشأة العامة، طرابلس- ليبيا، ط1، 1983م.

29. محمد قدور تاج: الاستشراق: ماهيته، فلسفته ومناهجه، مكتبة المجتمع العربي، عمان-الأردن ط1، 2014م.

30. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار، القاهرة-مصر، ط2، م1989.

31. مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ملتزم، القاهرة-مصر، ط2، 1958م.

32. ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط5، 1987،

33. نجيب العقيقي: المستشرقون (ج2)، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط5، 2006

34. يوسف أسعد داغر: مصادر الدراسات الأدبية، المطبعة المخلصية، بيروت-لبنان، ط2، 1961م.

ثانيا المعاجم التراثية

35. ابن منظور: لسان العرب، (د. تح)، دار صادر، ببروت-لبنان، ط6، 1997م.

ثالثا: المعاجم الحديثة

36. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب، القاهرة-مصر، ط1، 2008م.

37. كرم الستاني وآخرون: المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت-لبنان، ط7، 1931م.

38. محمد محمد داود: معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، دار الغريب، القاهرة–مصر، (د ط)، 2003م.

رابعا: الكتب المترجمة

39. إدوارد سعيد: الاستشراق مفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عتاتي، رؤية للنشر، القاهرة–مصر، ط1، 2006م.

40. زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيمون وكمال دشوفي، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط8، 1993م.

خامسا: المقالات الواردة في المجلات

41. حمدات بن عبد الله: موقف الحركة الاستشراقية من تاريخ النحو العربي ونقدها، مجلة دراسات استشراقية، جامعة السعيد–الجزائر، ع17، 2019.

42. حمدان عبد الله: الجوانب السلبية لجهود المستشرقين مقارنة بعض القضايا اللغوية، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة– الجزائر، ع13، 2018م.

43. صالح الشبيب: الاستشراق مفهومه ونشأته وتطوره مع تحليل ونقد آراء المستشرقين، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المنتصرية، العراق، ع50، 2007م.

44. ميداني بن عمر وعبد الحميد هيمة: النحو والشعر العربي، مجلة الأثر، ورقلة–الجزائر، ع25، 2016م.

سادسا: الحوليات الجامعية:

45. محمد الصماري: أصالة النشأة في النحو العربي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة صفاقس– تونس، حولية 38، 2011م.

46. نبيلة قريني: محاضرات في المدارس النحوية، جامعة قالمة 08ماي 1945، قالمة كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2021–2022م.

سابعا: الملتقيات:

47. نبيلة قريني، التأريخ للفكر النحوي العربي ببصمة المستشرقين بين التأييد والتفنيد، ملتقى جهود علماء الاستشراق والاستعراب في خدمة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس، الجزائر،2020م.

فهرس

الموضوعات

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة.....(أ-د)

فصل أول: لمحة تاريخية عن الاستشراق

توطئة.....2

أولا: مفهوم الاستشراق.....3

ثانيا: دوافع عناية المستشرقين باللغة العربية.....7

ثالثا: مراحل نشأة الاستشراق.....11

رابعا: مظاهر الاستشراق في الثقافة العربية.....14

فصل ثاني: المستشرقون والفكر النحو العربي

أولا: جهود المستشرقين في خدمة الفكر النحوي العربي.....21

1.أسباب عنايتهم بالنحو العربي.....21

2.جهودهم: تحقيق الكتب، ونشرها، والتأليف النحوي.....23

ثانيا: آراء المستشرقين في قضايا ذات صلة مباشرة بالفكر النحوي العربي.....26

1.قضية أصالة النحو العربي.....27

2.موقفهم من وجود المدرسة الكوفية.....32

ثالثا: آراء المستشرقين في قضايا ذات صلة غير مباشرة بالفكر النحوي العربي.....38

1.التشكيك في ظاهرة الإعراب.....38

2.التشكيك في الشعر الجاهلي.....43

خاتمة.....50

قائمة المصادر والمراجع.....53

فهرس الموضوعات.....59

ملخص.....62

ملخص

موضوع بحثنا موسوم بـ (قضايا الفكر النحوي العربي من وجهة نظر المستشرقين بين التأييد والتفنيد – دراسة وصفية تحليلية –) عرضنا فيه أهم قضايا الفكر العربي النحوي التي تناولها المستشرقون والدارسون العرب، أهمها قضية أصالة النحو العربي، قضية وجود المدرسة الكوفية في التراث النحوي العربي، قضية الإعراب في اللغة، قضية تشكيك في الشعر الجاهلي.

واخترنا هذا الموضوع للمكانة التي يحظى بها النحو العربي في التراث العربي من جهة وفي سلسلة الفكر الإنساني من جهة خاصة.

الكلمات المفتاحية:

الاستشراق، المستشرقون، اللغة العربية، التراث العربي، النحو، الإعراب، الشعر الجاهلي.

Résumé

Le thème de notre recherche intitulé (les enjeux de la pensée grammaticale arabe du point de vue des orientalistes entre appui et réfutation, « une étude descriptive et analytique »).

Nous y avons présenté les questions les plus importantes de la pensée grammaticale arabe qui ont été abordées aussi bien par les orientalistes que par les érudits arabes, dont les plus importantes sont : la question de l'authenticité de la grammaire arabe, la question de l'existence de l'école coufique au L'héritage arabe, la question de l'analyse syntaxique dans la langue arabe, la question du doute dans la poésie préislamique

Nous avons choisi ce sujet pour la place que la grammaire arabe occupe dans l'héritage arabe d'une part, et dans la série de la pensée humaine d'autre part.

Mots clés : orientalisme, orientalistes, langue arabe, héritage arabe, grammaire, syntaxe, poésie préislamique.